وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثالث

للسنة الثالثة الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربى بمصر
محمد حلمى المنياوى

فهـــ

(ا) النـــثر :

(ب) الشعر :

صفحة

صفحة

الأندلس

صفحة

النـــثر :

(ا) النثر الفنى

(ب) النثر العلمى :

الشـــعر :

صفحة

المغرب وممالك البربر

النـــثر :

(ا) النـــثر

أولاً – النـثر الفنى

(١) تعْزِيَةٌ لابنِ المقفَّعِ (١) :

أَمَّا بعْدُ ، فَإنَّ أمْرَ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا بيد الله ، هو يُدَبِّرُهُمَا ويَقْضى فيهما ما يشاء ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعقِّبَ (٢) لِحُكْمِهِ ، فإنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ بقدرَته ، ثمَّ كَتَبَ عَليْهم الموْتَ بَعْدَ الحياةِ لِئَلَّا يَطمعَ أَحَدٌ من خَلْقِه فِي خُلْدِ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لـكل شَيْءٍ ميقَاتَ أَجلٍ ، لا يستأْخرون عَنْهُ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ من خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ بالمَوْتِ ، لَا يرْجُو أنْ يُخَلِّصَهُ من ذلك أَحَدٌ ، نسأل اللهَ خَيْرَ المُنْقَلَبِ (٣) ، وَبَلَغَنِى وَفَاةُ فُلَانٍ فـكانت وَفَاتُه من المصائِبِ العِظَامِ التى يُحْتَسَبُ (٤) ثوابُهَا من رَبِّنَا الذى إليَه مُنْقَلَبُنَا ومَعادُنَا ، وعليه ثَوابُنَا . فعليك بتقوى اللهِ والصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ ؛ فإنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبر صَلَواتٍ (٥) مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ من المُهْتَدِينَ .

---

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ. ونشأ بالبصرة . وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى . وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقة عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع ، يقال : كل امرىء يصير الى منقلبه .

(٤) احتسب أجره عند الله : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير الى قوله تعالى . «وبشر الصابرين» الآية .

وَلَهُ مِن الأدب الصَّغير :

مِن أشَدِّ عُيُوب الإنسان خَفَاءُ عيوبهِ عَلَيْهِ . فإن من خَفِيَ عَلَيْهِ عيْبُهُ خَفِيَت عليه مَحَاسِنُ غَيْرِه ، فَلَنْ يُقْلِعَ[(١)] عَنْ عَيْبه الذى لا يعْرِفُه ولَنْ ينَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِه .

لا يُؤمننَّكَ شَرَّ الجاهِل قَرابَةٌ ولا جوارٌ ولا إلفٌ[(٢)] فإن أَخْوَفَ ما يكُونُ الإنسان لحِريق النَّارِ أقربُ ما يَكُونُ منْهَا[(٣)] . وكذلك الجَاهِلُ إن جَاوَرَكَ أَنْصَبكَ[(٤)] ، وإن نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ . وإن أَلِفَكَ حَمَل عَلَيْكَ مالا تُطيقُ ، وإن عَاشَرَكَ آذَاكَ وأخافَكَ . معَ أنَّهُ عنْدَ الجوعِ سَبُعٌ ضارٍ[(٥)] ، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وعند المُوَافقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إلى جهنَّمَ . فأنت بالْهَرب منه أحَقُّ منك بالهرب من سُمِّ الأَسَاوِدِ[(٦)] والحريق المَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ[(٧)] والدَّاءِ العيَاءِ[(٨)] . . .

(١) أقلع عن عيبه : كف عنه وتركه .
(٢) الالف بكسرالهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء : الصداقة
(٣) أى يشتدخوف الانسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذاصلة قوية بك . وهذا تمثيل .
(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .
(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .
(٦) الأساود : مفرده أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .
(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثقل . يقال نزل به أمر فادح ، وركبه دين فادح .
(٨) داء عياء بفتح العين : لايبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف[1]

كتب يهنىء بمولود :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَيْسَ من أمرٍ يَجْعَلُ اللهُ لك فِيهِ سُرُوراً إِلَّا كُنْتُ بِهِ بَهِجاً أَعْتَدُّ[2] فِيهِ بالنِّعْمَةِ من اللهِ الذى أَوْجَبَ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ ؛ وعَرَّفَنِى مِنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ . فَزَادَكَ اللهُ خَيْراً ، وَأَدَامَ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ . وقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ اللهَ وَهَبَ لَكَ غُلَاماً سَرِيًّا[3] أَجْمَلَ صُورَتَهُ ، وأَتَمَّ خَلْقَهُ ، وأَحْسَنَ فِيهِ البَلَاءَ[4] عندكَ فاشْتَدَّ سُرُورى بِذَلِكَ . وأَكْثَرْتُ حَمْدَ اللهِ عَلَيْهِ . فَبَارَكَ اللهُ فِيهِ وجَعَلَهُ بَارًّا[5] تَقِيًّا يشُدُّ[6] عَضُدَكَ ، ويُكَثِّرُ عَدَدَكَ ، ويُقِرُّ[7] عَيْنَكَ .

وكتب أيضاً تهنئة بظفر :

بَلَغَنِى — فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ — خُرُوجُ ابن السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فالحَمْدُ للهِ النَّاصِرِ لِدِينِهِ ، المُعِزِّ لِوَلِيِّهِ وخَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، المُذِلِّ لِمَنْ صَدَّ[8] عَن حَقِّهِ وَرَغِبَ[9]

---

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : أن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف فى بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر فى زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية. وكانت طريقته فى الكتابة تميل الى التوسع فى المعانى والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل لمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها. سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعد ذلك نعمة من الله .

(٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) بارا : صالحا مطيعا .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صده عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يذل من وقف فى سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

عَنْ طَاعَته ونَسْأَلُ اللهَ أن يُظَاهِرَ[١] النِّعَمَ ، ويَفْتَحَ بُلْدَانَ الشِّرْكِ[٢] بك ، والحَمْدُ لله عَلَى مَاوَالاكَ[٣] مُنْذُ ظَعَنْتَ[٤] لِوَجْهِكَ ، فَإنَّا نَتَذَاكَرُ سِيرَتَكَ فى حَرْبِكَ وسِلْمِكَ ، ونُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وُفِّقْتَ لَهُ مِنْ وَضْعِ الشِّدةِ واللَّيَانِ[٥] بِمْوضِعِهِماَ ، وَلاَ نَعلَمُ[٦] سَائِرَ جُنْدٍ وَلاَ رَعيّةٍ عُدِلَ بَيْنَهُمْ عَدْلَكَ وَلاَ مَنْ عَفَا بَعْدَ القُدْرَةِ عَمَّنْ آسَفَهُ[٧] وأَضْغَنَهُ[٨] عَفْوَكَ .

وكتب فى الذم :

أمَّا بَعْدُ ، فَلاَ أعْلَمُ لِلمَعْرُوفِ[٩] طَرِيقاً أحْزَنَ[١٠] ولا أوْعَرَ مِن طَرِيقهِ إلَيْك ، ولا مُسْتَوْدَعاً[١١] أقلَّ زَكَاءً[١٢] ، ولا أبعَدَ ثَمَرَةَ خَيْرٍ من مَكانه عِنْدَكَ ؛ لأنَّهُ يَحْصُلُ مِنْكَ فى حَسَبٍ دَنِيٍّ[١٣] ، ولِسَانٍ بَذِيٍّ[١٤] ، ونَسَبٍ قَصِيٍّ[١٥] ، وجَهْلٍ[١٦] قد مَلَكَ طِباعَكَ ؛ فالمعروف لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، والشكرُ عندكَ مَهْجُورٌ ، وإنما غايَتُكَ فى المعروفِ أَن تُحْرِزَهُ ، وفى وليِّه أن تَكْفُرَ[١٧] بِه .

---

(١) ظاهره مظاهرة : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) والى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظعن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشددة مصدر لان يلين وهو ضد الشدة. والليان : بالكسر الاسم من لان.

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك فى قومك .

(٧) آسفه ايسافا : أغضبه وأحزنه .

(٨) أضغنه : حمله على الضغينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا اليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان .

(١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء .

(١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الذليل .

(١٤) البذى بتخفيف الهمزة أيضا : المحتقر السفيه .

(١٥) القصى : البعيد .

(١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه إلى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لِمَنْ طَلَبَهُ ، تَهْدِيه مَحَجَّتُهُ[١] ، ولا تُخَاف عَثْرَتُه[٢] ، وتُؤْمَنُ في السِّرِّ مَغَبَّتُهُ[٣] فلا تُقِلَّنَّ[٤] مِنْهُ ، وَلَا تَعْدِلَنَّ عَنْهُ ، فَقَدْ بالَغْتُ في مُنَاصَحَتِك ، فلا تُحْوجْني إلى مُعَاوَدَتِكَ[٥] ، فَلَيْسَ بَعْدَ التَّقْدِمَة[٦] إِلَيكَ إلا سَطْوَةُ الإنْكارِ عَلَيْكَ » .

(٣) الحسن بن سهل[٧]

كتب إلى محمد بن سماعة[٨] القاضي يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مَهامه :

أَمَّا بَعدُ ، فإنِّى احتَجْتُ لِبَعْض أُمُورِى إلى رَجُلٍ جَامِعٍ لِخصَالِ الخير ، ذِى عِفَّةٍ ونزَاهَةِ طُعْمَةٍ[٩] ، قد هَذَبَتْهُ الآدَابُ ، وأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، لَيس بظَنِينٍ[١٠] في رَأْيِهِ ، وَلَا بمَطْعُونٍ في حَسَبِه . إن أُؤْتمِنَ على الأَسْرَارِ قَامَ بها ، وَإِنْ قُلِّدَ مُهِمًّا من الأُمُورِ أَجْزَأَ[١١] فِيهِ ، لَهُ سِنٌّ[١٢] مَعَ أَدَبٍ ولسَان ، تُقْعِدُه الرَّزَانَةُ وَيُسَكِّنُهُ الحِلْمُ ، قَدْ فُرَّ[١٣] عن ذَكاء وفِطْنَةٍ ، وَعَضَّ

---

(١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة .

(٣) المغبة : عاقبة الشيء . (٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه .

(٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة الا أن يعاقبه

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٨) محمد بن سماعة القاضي : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٢٣ هـ

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل .

(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى .

(١١) أجزأ فى الأمر كان له كفئا وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر .

(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ[١] من الكَمالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ المُلُوكِ وأَحْكَمَهَا ، وقَامَ فى أُمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيها . لَهُ أَنَاةُ[٢] الوُزَرَاءِ ، وَصَوْلَةُ[٣] الأمَرَاءِ ، وتَواضُعُ العُلَمَاءِ ، وفَهْمُ الفُقَهَاءِ ، وَجَوابُ الحُكَمَاءِ . لَا يَبِيعُ نَصِيبَ يَومِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرِقُّ[٤] قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ ، وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَائِلُ الفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ[٥] ؛ وَأَمَارَاتُ العِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ، مُضْطَلِعاً[٦] بِمَا اسْتُنْهِضَ[٧] ، مُسْتَقِلًّا[٨] بِمَا حُمِّلَ ، وقَدْ آثَرْتُكَ[٩] بِطَلَبِهِ ، وحَبَوْتُكَ بارْتِيَادِهِ[١٠] ، ثِقَةً بِفَضْلِ اخْتِيارِكَ ، وَمَعْرِفَةً بِحُسْنِ تَأَتِّيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمى

قال : كانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّى . وَكَانَتْ لَبِيبَةً من النِّسَاءِ ، حَازِمَةً فَصِيحَةً بَرْزَةً[١١] . يُعْجِبُنِى أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمِّى فَأَسْتَكْثِرُ من حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا يَوْماً : يَا أُمَّ جَعْفَرٍ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَراً على الفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ الفَضْلَ على جَعْفَرٍ ، فَأَخْبِرِينى . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الفَضْلَ

---

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استكمل السن والقوة ، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .

(٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها .

(٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشىء : حمله ورفعه ، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشىء : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشىء ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة .

للفَضْلِ . فقُلْتُ : إنَّ أكْثَرَ النَّاسِ على خِلَافِ هَذَا . فقَالَتْ : هَأَنَا أُحَدِّثُكَ واقْضِ أَنْتَ . وذٰلِكَ الَّذِى أَرَدْتُ مِنْها . فقَالَتْ : كانَا يَوْمًا يَلْعَبَان فى دَارِى ، فَدَخَلَ أَبُوهُمَا فدَعَا بالغَدَاء وأَحْضَرَهُمَا ، فطَعِمَا مَعَهُ ثُمَّ آنسَهُمَا بحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : أَتلْعَبَانِ بِالشِّطْرَنْج ؟ فقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرَأَهُمَا : نَعمْ ! قَالَ : فهَلْ لاعَبْتَ أَخَاكَ بهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعبَا بهَا بَيْنَ يدَىَّ لأَرَى لِمَنْ الغَلَبُ . فقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بهَا . فَجِيءَ بالشِّطْرَنْج فَصُفَّتْ بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عليها جَعْفَرٌ وَأَعْرَضَ عنها الفَضْلُ . فقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَالَكَ لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ فقَالَ : لَا أُحِبُّ ذٰلكَ . فقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بهَا مِنى فيَأْنَفُ من مُلَاعبَتِى ، وأَنَا أُلَاعِبُهُ مُخَاطَرَةً[1] . فقَالَ الفَضْلُ : لَا أَفْعَل . فقَالَ أَبُوهُ : لَاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ . فقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ . وَأَبَى الفَضْلُ وَاسْتَعْفَى[2] أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِى : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالفَضْلِ للفَضْلِ على أَخيهِ . فقَالَتْ : لَوْ عَلِمتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ القَضَاءَ لمَا حَكَّمْتُكَ . أَفَلَا ترَى أَنَّ جَعْفَرًا قدْ سَقَطَ أَرْبعَ سَقَطَاتٍ تنزَّهَ الفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسقَطَ حِينَ اعْتَرَفَ على نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بالشِّطْرَنْج ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ[3] . وَسَقَطَ فى الْتِزَامِ مُلَاعبَةِ أَخيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلَبِهِ ، والتَّعَرُّضِ لِغَضَبِهِ . وَسَقَطَ فى طَلَب المُقَامَرَةِ وَإِظْهَارِ الحِرْصِ على مَالِ أَخيهِ . والرَّابعَة قَاصِمَة الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَاعِبْهُ وَأَنَا معَكَ . فقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ ،

---

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجد بكسر الميم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ(١) صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ وَاللهِ ! وَإِنَّكِ لَأَقْضَى مِنْ الشَّعْبِى(٢) ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ(٣) عَلَيْكِ أَخْبِرِينِى : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هٰذَا على جَعْفَر وقد فطِنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا العَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً بِهِ : مَا مَنَعَكَ من إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ قال : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّى لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، والثَّانِى قَوْلُ أَبِى لاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، فما يَسُرُّنِى أَنْ يَكُونَ أَبِى مَعِى على أَخِى . ثُمَّ خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عن اللَّعِبِ بالشِّطْرَنْج فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جِدّ . فَقَالَ : إِنِّى سَمِعْتُ أَبِى يَقُولُ : إنه نِعْمَ لَهْوِ البَالِ المَكْدُودِ(٤) . وَقَدْ عَلِمَ ما نَلْقَاهُ مِن كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَدُّبِ ؛ وَلَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَّا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكِرَ ؛ فَبَادَرْتُ بِالإِقْرَارِ إِشْفَاقاً عَلَى نَفْسِى وعليه ، وَقُلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ مِنَ المُوَاجَهَةِ بِهِ . فقلتُ لَهُ : يا بُنَىَّ : فَلِمَ تَقُولُ أَلاعِبُهُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ التى وَهَبَهَا لى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عليه فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِى فَأُخَاطِرَهُ عليها وهو يَغْلِبُنِى فَتَطِيب نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ لَهَا : يا أُمَّاهُ ما كَانَتْ هٰذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فقالتْ : إِنَّ جَعْفَراً دَخَلَ على أمير المُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً من العَقِيقِ الأَحْمَرِ مُحَلَّاةً بالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ فَرَآهُ يَنظُرُ

---

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبى بفتح الشين وسكون العين احد رجال الحديث والقضاء.

(٣) عزم عليه : أقسم عليه . والاسم منه العزمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إليهَا فوَهبهَا لهُ . فقلتَ إيهِ . فقَالَتْ : ثم قُلْتُ لجَعْفرٍ هبْكَ[1] اعتَذرْتَ بمَا سَمِعْتُ فمَا عُذْرُكَ من الرِّضَا بمُناصَبةِ أبيكَ حِينَ قَالَ لاَعِبْه وَأنَا معَكَ ؟ فقُلتَ أنْتَ : نعَم ، وَقَالَ هُوَ : لاَ . فقَالَ : عرَفْتُ أنَّهُ غالبى ، وَلَوْ فتَرَ لَعِبُهُ لتغَالبْتُ[2] لَهُ ، معَ مَالَهُ من الشَّرَفِ وَالسُّرورِ بتحَيُّزِ أَبيهِ إليْه . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰن فقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ[3] ، هٰذه وَاللهِ السِّيادَةُ . ثم قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ : أكَانَ منهما مَنْ بلَغَ الحُلُمَ ؟ فقَالت : يَا بُنَيَّ : أينَ يُذهَبُ بكَ ؟ أخبِرُكَ عن صَبيَّيْنِ يلْعَبَانِ فتَقُولُ : أكَانَ منْهمَا من بلَغَ الحُلُمَ ، لقد كُنَّا نَنْهى الصَّبِيَّ إذَا بلَغَ العَشْرَ وَحَضرَ مَنْ يُسْتَحَى منه أنْ يَبْتَسِمَ .

(٥) الصُّولى[4]

من رسائله فى تعزية على لِسانِ المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

أمَّا بعْدُ ، تولى الله توفيقك وحياطَتَكَ ، وما يَرْتَضِيه مِنْكَ وَيرْضَاهُ عَنْكَ ! إنَّ أفضَلَ النعَم نِعْمَةٌ تُلُقِّيَتْ[5] بحق الله فيها من الشكر وأوفرَ حَادِثَةٍ ثوَابًا حَادِثةٌ

---

(١) يقال :هبك صنعت كذا أى افرض أنك صنعت . وهى كلمة ملازمة للأمر لا تنصرف لغيره من الأفعال .

(٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .

(٣) بخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للمدح واظهار السرور بالشىء . ويكرر للمبالغة فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء ، وتولى فى خلافة المتوكل ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتاب ومن أفذاذهم المعروفين فى زمانه حتى لقب بكاتب العراق وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه فى التعازى . توفى بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ .

(٥) تلقى الشىء : بمعنى لقيه .

أَدَّى حَقَّ اللهِ مِنها مِنَ الرِّضَا والتَّسْلِيم والصَّبرِ ، ومِثْلُكَ من قَدَّمَ ما يَجِبُ لِلهِ عَلَيْهِ فى نِعْمَةٍ فشكرَهَا ، وَفى مُصِيبَةٍ فَأَطَاعَهُ فيها . وَقَدْ قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتعَالى فى محمد بن إسْحَاقَ مَوْلَى أَمِيرِ المؤمنين (عَفَا اللهُ عنه) قضاءَهُ السَّابق والمُوَقَّعَ[1] . وفى ثَوَابِ اللهِ وَرِضا أمير المؤمنين (أدام اللهَ عِزَّهُ) وتقديم مَا يُقَدِّمُ مَثْلَه أهلُ الحِجَا[2] والْفَهمِ مَا اعتَاضَه[3] مُعْتَاضٌ وقَدَّمَهُ موَفَّقٌ . فَلْيَكُنْ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَمَا أَطعْتَهُ بهِ وَقَدَّمتَ حَقَّه فِيهِ أَوْلَى بكَ فى الأُمورِ كُلِّها ؛ فإنَّكَ إنْ تَتَقرَّبْ إليه فى المكْرُوهِ بطَاعَتِه . يُحسنْ وِلايَتَكَ فى تَوْفِيقِكَ لشُكرِ نِعمِهِ عِنْدَكَ .

* * *

ومن رسائله القِصَارِ على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه ، وهى من الرسائل التى أغنت عن الجيوش :

أمَّا بعْدُ ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يَرَى مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيهِ مِمَّا قَوَّم بهِ مِنْ أَوَدٍ[4] ، وَعدَّلَ به مِنْ زَيْغٍ[5] ، وَلَمَّ بهِ مِنْ مُنْتَشِرٍ ، استعْمالَ ثلاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ على بَعْضٍ : أولاهُنَّ مَا يَتقَدَّمُ بهِ مِنْ تَنْبيهٍ وَتَوْقِيفٍ[6] ، ثمَّ مَا يَسْتَظْهِرُ[7] بهِ مِنْ تحْذِيرٍ وَتخْويفٍ ، ثم التى لا يَقعُ بحَسْمِ الدَّاءِ غَيْرُها :

---

(١) الموقع : المقدر . (٢) الحجا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الاعوجاج .

(٥) الزيغ : الميل عن الحق .

(٦) وقفه على الشيء : أفهمه .

(٧) استظهر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا اياه .

أَناةٌ (١) ، فإن لم تغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا   وَعِيدًا ، فإن لمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهْ

وكتب إلى ابن الزيات (٢) يستعطفه :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغَتْ المُدْيَةُ (٣) المحزَّ (٤) ، وَعَدَتِ (٥) الأَيَّامُ بِكَ عَلَيَّ بَعْدَ عَدْوَايَ (٦) بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أَسْوأُ الظَّنِّ وَأَكْثَرُ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِهَا (٧) ، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْهَا ؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي (٨) خَوْفًا منكَ ، وَبَادَرَ (٩) إِلَيَّ العَدُوُّ تقرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْـ   ـرِ صَاحَبَ أَيَّنَا غَلَبَا (١٠)

---

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) المحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع. يقال : قطع فأصاب المحز . والمحز بكسر الميم: آلة الحز . يريد أن الأمر وصل الى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأذاة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ . .) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه فى ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه اذا أصابته بأذى فاذا هو أضر عليه منها وأشدى أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر الى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار اليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما يخونه الدهر .

صديقِي مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَـا دَهْرٌ عَلَىَّ نبَـا (١)
وَثَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ فَعَادَ به وَقَدْ وَثَبَـا (٢)
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا لَعَـادَ به أَخًا حَـدِبًا (٣)

ثانياً — النثر العلمى

(١) أبو يُوسفَ (٤)

قال فى كتاب « الخراج » :

وأَنَا أرى أنْ تبْعَثَ قوما من أهل الصَّلاح والعفافِ مِمَّن يُوثَقُ بدِينِهِ وأمَانَتِهِ يَسْأَلونَ عَنْ سِيرة العُمَّالِ وما عملوا به فى البلاد ، وكيف جبَوا الخراجَ على ما أُمِرُوا به ، وَعَلَى ما وُظِّفَ عَلَى أهْلِ الخراج واستقر ؛ فإذا ثبتَ ذلك عندكَ وصحَّ ، أُخذُوا بما اسْتَفْضَلُوا من ذلك أَشـدَّ الأخذ حتى يُؤَدُّوهُ بَعْدَ العقوبة الموجبةِ والنَّكالِ ، حتى لا يتعدَّوْا ما أُمِرُوا به ، وما عُهِدَ إليهم فيه ، فإنَّ كلَّ ما عَمِلَ به وَالى الخراج من الظُّلْمِ والمَسَفِ فإنَّما يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، وقد أُمِرَ بغَيْرِهِ ، وإن أَحْلَلْتَ بواحدٍ منهم العقوبةَ المُوجِعَةَ انتهى غَيْرُهُ واتَّقَى وَخَافَ ، وإنْ لم تفعلْ هذا بهم تَعَدَّوْا عَلَى أَهْلِ الخراج واجترءوا على ظُلْمِهِمْ وتَعَسفِهِمْ وأَخْذِهِمْ بما لم يجب عليهم . وإذا صح عندكَ مِنَ العامل والوالى تَعَدٍّ بظلم وعسف وخيانةٌ لك فى رعيتك واحتجان

---

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد. ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . وهذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثبَ : قفز ونهض . يقول هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم على مع الزمان

(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه اذا صادقه الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له.

(٤) أبو يوسف هوالقاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الامام أبي حنيفة وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شيء من الفيء ، أو خُبث طُعمَتِهِ أو سُوء سيرته فحرامٌ عليك استعمالُه والاستعانةُ بهِ ، وَأَنْ تُقَلِّدَهُ شيئاً من أمورِ رعيتكَ أو تُشرِكَهُ في شيء من أمرِكَ ، بَلْ عاقِبْهُ عَلَى ذَلِكَ عقوبةً تردعُ غَيره من أن يتعرَّضَ لِمثْلِ ما تعرَّضَ لَهُ . وإياك ودعوةَ المظلومِ فإنَّ دَعْوَتَهُ مُجابةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ (١)

كان أَرْدَشِيرُ بنُ بَابَكَ أوّلَ مَن رتّبَ النُّدَمَاءَ (٢) وأخذَ بِزِمَامِ سياستهم ، فجعلهم ثلاثَ طَبقَاتٍ :

فكانت الأَسَاوِرَةُ (٣) وأبناء المُلُوكِ في الطّبَقَةِ الأولى ، وكان مجلسُ هذه الطَّبَقَةِ من الملكِ على عشَرة أذرعٍ من السِّتَارَةِ .

ثم الطَّبَقَة الثانية كان مجلسُها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بِطانةُ الملك وندماؤُه ومحدِّثُوه من أهلَ الشَرَفِ والعِلْمِ) .

ثم الطَبَقَةُ الثالثةُ كان مَجْلِسُهم علي عَشْرةِ أَذْرُعٍ من الثانيةِ وهُم المُضحِكونَ وأهلُ الهزْلِ والبَطَالةِ ، غَيْرَ أنه لم يكُن في هَذه الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ خَسيسُ الأَصْل

---

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري. ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون في أيامه ولازم ابراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلي وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم في زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

ولا وَضِيعُهُ ، ولا نَاقِصُ الجَوَارِحِ (١) ، ولا فَاحِشُ الطُّولِ والقِصَرِ ، ولا مَؤُوفٌ (٢) ، ولا مرمِيٌّ بأُبْنَةٍ ، ولا مَجْهُولُ الأَبَوَيْنِ ، ولا ابنُ صناعة دَنيئةٍ كَابْنِ حائكٍ أو حَجّامٍ ولو كان يعلمُ الغيبَ مثلاً .

وكان أردشير يقول : « ما شيءٌ أسرعَ في انتقالِ الدُّوَلِ وخَرابِ المَمْلَكةِ من انْتِقَالِ هذهِ الطبقات عن مَرَاتبها ، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ إلى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ ، ويُحطَّ الشّريفُ إلى مرتبةِ الوضيعِ . وكان الذى يقابل الطَّبَقَةَ الأولى من الأساوِرَةَ وأبناءِ المُلُوكِ أهلُ الحَذَاقة بالمُوسيقِيَّاتِ والأغَانِي . فكانوا بإزاء هؤُلاء نُصْبَ خَطِّ الاستواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ الملكِ وبِطانته الطَّبَقَةُ الثانيةُ من أصحابِ المُوسيقِيَّات . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالِثَةَ من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضحِكين أصحابُ الوَنْج (٣) والمَعَازِفِ والطَّنَابِير (٤) ، وكان لا يَزْمُرُ الحاذِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحاذِقِ من المُغَنِّين . وإن أمَرَه الملكُ بذلك رَاجَعَهُ واحتجَّ عليه » .

(٣) من كتاب الكامل المبرِّد (٥)

قَالَ أبُو العبَّاسِ مِنْ أمْثَالِ العَرَب : « لم يَذْهَبْ مِنْ مَالِك مَا وَعَظَك » يَقُولُ : إذا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شيءٌ فَحَذَّرَكَ أَنْ يَحِلّ بِكَ مِثلُه فَتَأدِيبُه إيّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِه .

---

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة . الأبنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب.

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الادبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالِهم : « رُبَّ عَجلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً » وَتأْوِيلُهُ أنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ فَلاَ يُحْكِمُه للاسْتِعْجَالِ بهِ ، فَيحتاجُ إلى أَنْ يَعُودَ فَينقُضَهُ ، ثمَّ يَسْتأْنِفَ . وَالرَّيْثُ : الإبْطَاءُ ، وراثَ علَيْه أمْرُه : إذَا تَأَخَّرَ . ومن أَمثالِ العرَب : « عَشِّ ولا تَغْتَرَّ » وأصْلُ ذلك أن يَمُرَّ صَاحبُ الإبل بالأرْضِ المُكْلِئَةِ[1] فيَقُول : أَدَعُ أنْ أعشِّيَ إبلى مِنْهَا حَتَّى أَرِدَ عَلَى أُخْرَى ، ولا يَدْرِى ما الّذى يَرِدُ عَلَيْهِ . وقَريبٌ منْهُ قَوْلُهُمْ : « أَنْ تَرِدَ المَاءَ بِماءٍ[2] أكْيَسُ » وَتأْوِيله أنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بالمَاءِ فَلاَ يَحملَ مِنه اتِّكالاً على مَاءٍ آخرَ يَصِيرُ إلَيْهِ ؛ فَيُقَالُ له : أنْ تَحملَ مَعكَ مَاءً أَحْزَمُ لَكَ ، فإنْ أصبْتَ مَاءً آخرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فإنْ لَمْ تَحمِل فخَفَفْتَ من المَاءِ عَطِبْتَ[3] . وَمِنْ أَمْثَالِهم : « قَدْ أَحْزِمُ لَوْ أَعْزِمُ » يَقُولُ : أَعْرِفُ وَجْهَ الحَزْمِ فإن عَزَمْتُ فَأَمْضَيْتُ الرّأىَ فأَنَا حَازِمٌ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الصَّوَابَ وَأَنَا أَرَاهُ وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفَعْنِى حَزْمِى . ومِثْلُهُ قَوْلُ النّابغَةِ الجعْدِى :

أَبَى لِى البَلاءُ وأَنّى امرُؤٌ   إذا ما تَبَيَّنْتُ لم أَرْتَبِ

وقال أعْرَابى يَمْدَحُ سَوَّارَ بنَ عَبْدِ الله :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ   وأَمْضَى إذا ما شَكَّ مَنْ كانَ مَاضِيَا[4]

فالّذى يُحْمَدُ إمْضَاءُ ما تَبيّنَ رُشْدُهُ ، فأمَّا الإِقْدَامُ عَلَى[5] الغَرَرِ ، وَرُكوب الأمْرِ عَلَى الخطرِ ، فلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِى الأَلْبَاب .

---

(١) أكلأت الأرض : كلؤها الكلأ : العشب رطبا ويابسا .

(٢) بماء أى مع ماء . والكياسة : الفطانة . ورجل كيس : فطن . والأكيس : اسم تفضيل منه .

(٣) عطبت : هلكت .

(٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح) : انكشف وبان . مضى على الأمر : أتمه . يقول انه أشد تحرجا من المضاء فى الأمر اذا ما يتبين له وجه الصواب فيه ؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا فى حين يمضى غيره .

(٥) الغرر بفتح الغين والراء : التعريض للهلاك .

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى (١)

« خـــلافة الأمين »

وفى هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويِعَ لِمُحَمَّدٍ الأَمينِ بنِ هارونَ بالخلافةِ فى عَسْكَرِ الرَّشيدِ ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ هَارُونَ المأمُونُ يَوْمَئِذٍ بمَرْو ؛ وَكانَ فيما ذُكِرَ قَدْ كَتَبَ حَمَّوَيْهِ مَوْلَى المَهْدِى صَاحِبُ البريدِ بطُوس إلى أبى مُسْلِم سلام مَوْلاهُ وَخَليفَتِهِ ببَغْدَاد عَلَى البريد والأَخْبارِ يُعْلِمُهُ وَفاةَ الرَّشيدِ . فَدَخَلَ على مُحَمَّدٍ فعزَّاهُ وَهَنَّأَهُ بالخِلَافةِ . وَكانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجاءُ الخادِمُ يَوْمَ الأَرْبعاءِ لِأَرْبَعَ عشرَةَ لَيلَة خَلَتْ من جمادى الآخرةِ : كانَ صالحُ بن الرَّشيد أرسَلَهُ إليه بالخبرِ بذلِكَ ، وقيلَ لَيْلَة الخميس للنِّصْفِ مِنْ جُمادى الآخرةِ ، فَأَظْهَرَهُ يوم الجُمُعَةِ وسَتَرَ خَبَرَهُ بقيَّةَ يَوْمه وَلَيْلَتَهُ ، وَخَاضَ النَّاسُ فى أمْرِه ، ولمَّا قدِمَ كتابُ صَالح عَلَى مُحَمَّدٍ الأَمينِ مَعَ رَجَاء الخادِمِ بوَفَاةِ الرَّشيد . وَكانَ نازِلًا فى قَصْرِهِ بالخُلْدِ ، تَحَوَّلَ إلَى قَصْر أبى جَعْفَر بالمَدينَة ، وأَمَرَ الناس بالحضورِ ليومِ الجُمعَةِ فَحَضَرُوا وصلّى بهِمْ فلمَّا قَضى صلاتَهُ صعِدَ المنبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليه ونعَى الرشيدَ إلى الناسِ وعزَّى نفسَهُ والناسَ ، ووعدَهُم خيراً وبسَطَ الآمالَ ، وأمَّنَ الأَسْوَدَ والأبيضَ ، وبايعَهُ جِلَّةُ أهْلِ بيْتِهِ وخاصَّتُه ومَواليه وقُوَّادُه ، ثمَّ دَخَلَ وَوَكلَ ببيعتهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عمَّ أبيه سُليمانَ بن أبى جعفر فبايعهُمْ

(١) هو أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى . ولد فى طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها فى طلب العلم حتى صار من علماء الدين وائمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذى اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمَرَ السِّنْدىّ بمبَايعةِ جميعِ الناسِ منَ القوّاد وسائر الجُند ، وأمرَ للْجُندِ ممَّن بمدِينَةِ السَّلَامِ برزقِ أربعةٍ وعشرينَ شهراً ، وبخواص مَنْ كانَتْ لهُ خَاصَّةٌ لهذهِ الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة

وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعد نواة له يسمى (هزار افسافه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

ومما يُحكَى أنَّ خالد بن عبدالله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمالٍ باهر ، وأدب ظاهر ، وعقل وافر ، وهو حسن الصورة طيب الرائحة ، وعليه سَكِينَة ووقار ، فقدَّمُوه إلى خالد فسألهم عن قصته ، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه[١] البارحة فى منزلنا ، فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته . فقال : خلّوا عنه[٢] . ثم دنا منه ، وسأله عن قصته فقال : إنَّ القومَ صادقُون فِيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ : ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميلةٍ وصورة حسنةٍ ؟ قال : حَمَلَنى على ذلك الطمعُ فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[٣] ! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرُك عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيها الأمير ! وامض[٤] إلى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبتْ يَدَاى ، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ ساعةً

---

(١) أصبناه : أدركناه.

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها : فقدته ، وهى ثكلى كلمة للدعاء على الانسان ، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل . .

(٤) أى نفذه .

يُفكر فى أمر الفتى ، ثم أدناه منهُ وقال له : إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعَلَّ لك قصةً غير السرِقة فأخبرنِي بهاَ . قال أيها الأمير : لا يقع فى نفسك شيءٌ سوى ما اعترفتُ به عندكَ وليس لى قصةٌ أشرحُهاَ إلا أَنى دخلت دار هؤلاءِ فَسَرَقْتُ ما أمكننى ، فأدرَكونى ، وأخذوه منى وحملونى إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمَرَ منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحَبَّ أن ينظرَ إلى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ مِنَ الغدَاة إلى المحلِّ الفلانى . فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفَّس[١] الصُّعدَاءَ وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَّدنِي خالدٌ بقطع يَدِي إذ لَمْ أبُحْ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهاَ
فقُلْتُ هَيْهاَتَ أن أبُوحَ بِماَ تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحَبَّتِها !
قطعُ يَدِي بالذى اعترفتُ بهِ أهوَنُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِها

فَسمِعَ ذلك الْمُوكلَّون بهِ ، فأتَوْا خالداً وأخبرُوهُ بمَا حَصَلَ مِنْهُ . فلمَّا جَنَّ[٢] الليلُ أمَرَ بإحضارِهِ عندَهُ ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلاً أديباً فطناً ظريفاً[٣] لبيباً . فأمَرَ له بطعامٍ ، فأكلَ وتحدَّثَ معهُ ساعةً ، ثمَّ قال له خالِدٌ قد علِمتُ أنَّ لك قِصة غَيْرَ السَّرِقَة فإذا كاَنَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِي وسألَكَ عن السرِقةِ فأنكِرْهَا ، واذْكُرْ ما يَدْرَأُ[٤] عنْكَ حَدَّ القَطْعِ ، فَقَدْ قال رسول الله

---

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : ادركه وحذق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحذق والبراعة . ورجل (ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليهِ وسلَّمَ : « ادرَءوا الحُدُودَ بالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أمَرَ به إلى السِّجْنِ (وأَدْرَكَ شَهْرَزَاد الصَّباحُ فسكَتَتْ عَنْ الـكلامِ المُبَاحِ) .

(وفى ليلة اثنَتَيْنِ وأرْبَعِينَ وثَلثمِائةٍ) قالتْ : بَلَغَنِى أيها الملكُ السَّعِيدُ أنَّ خالداً بعدَ أنْ تحـدّثَ معَ الشَّاب أَمَرَ بهِ إلى السجن فمَكَثَ فيهِ لَيْلَتَه ، فلمَّا أصْبحَ الصَّباحُ حَضَرَ الناسُ ينْظُرُونَ قَطْعَ يَدِ الشَّاب ، ولم يَبْقَ أحَدٌ فى البصرَةَ . ثُمَّ استَدعَى بالقُضَاةِ وأمرَ بإحضَارِ الفتى ، فأَقْبَـل يَحْجِلُ(١) فِى قُيُودِهِ ولَمْ يرَهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ إلَّا بَـكَى عَلَيْه ، وارتفعت أصواتُ النساءِ بالنحيب ، فأمَرَ القـاضى بتَسكيت النِّسَاءِ . ثُمَّ قال : إن هَؤُلاءِ القَوْمَ يزْعُمُونَ أنَّـكَ دَخَلْتَ دارَهُمْ وَسَرَقْتَ مَالَهُم فلعلَّكَ سرقْتَ دُونَ النِّصابِ(٢) ؟ قَالَ : بَـلْ سَرَقْتُ نِصاباً كاملاً . قال : لعلَّكَ شَرِيكُ الْقوْمِ فِى شىءٍ منه ؟ قال : بل هو جَمِيعُهُ لَهُمْ لا حَقَّ لى فيهِ . فَغَضِبَ خالدٌ ؛ وقَامَ إليهِ بنفسهِ ، وضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بالسَّوْطِ وقَالَ مُتَمَثِّلاً بهذَا البَيْتِ :

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُعطَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بالجزَّارِ ليَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وأخْرَجَ السكِّينَ ومدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ عَلَيْها السكِّينَ ، فَبَادَرَتْ جارِيَةٌ من وَسَطِ النِّساء عليها أطمارٌ(٣) وسِخَةٌ فصَرَخَتْ ورَمَتْ نفسهَا عليه ، ثم أسفرت عن وجهٍ كأنّه القمرُ ، وارتفع

---

(١) حجل (يحجل): رفع رجلا ومشى متريثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

فى الناسِ ضجةٌ عظيمة ، وكاد أن يقَع بسببِ ذلِك فتنةٌ طائِرةُ الشررِ ، ثم نادَتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِهَا ناشدتُك(١) الله أيها الأميرُ ! لا تُعجِّل بالقطعِ حتى تقرأَ هذهِ الرُّقْعةَ(٢) ، ثمَّ دفعت إليه رُقعةً ففتحها خالدٌ وقرأَهَا فإذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هـذا مُستهامٌ(٣) مُتيَّمٌ رَمَتْهُ لِحَاظى عَنْ قِسِىِّ الحمَالِقِ(٤)

فأْصماهُ(٥) سهمُ اللَّحْظِ مِنِّى لأنه حَلِيفُ جوًى(٦) منْ دَائه غير فائق

أقرّ بمَا لَمْ يقْتَرِفْهُ كأنَّهُ رَأىذَاكَخيراًمن هَتيكَةِ(٧) عَاشِقِ

فمَهْلاً عَن الصَّب الكئِيبِ؛ فإنَّهُ كريمُالسَّجَايَا فِىالورَى غيرُسارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبيات تنحَّى ، وانْفرَدَ عَن الناسِ ، وأحضرَ المرأة ثمَّ سألَها عَن القِصَّةِ فأخبرَتْهُ بأنَّ هـذَا الفتَى عاشقٌ لهـا ؛ وهِيَ عاشقةٌ له . وإنما أراد زِيارَتَهَا فتوجَّه إلى دارِ أهْلِهَا وَرَمى حَجَراً فِى الدارِ لِيُعلِمَهـا بمَجيئِهِ فسمِـعَ أبُوها وإخوتُها صوتَ الحجرِ فصعِدُوا إليهِ . فلما أحسَّ بهم جَمعَ قُمَاشَ(٨) البيْتِ كلّهُ وأراهم أنَّهُ سَارِقٌ

(١) ناشده الله : استحلفه واقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التى يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملاقها بكسر الحـاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شـدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود أى ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتراً عَلَى معشُوقتِه . فلما رأوهُ على هذهِ الحَالَةِ أخذوهُ . وقالُوا : هَذَا سارِقٌ . وأتَوا بهِ إليك فاعتَرَف بالسرقةِ وأصرَّ على ذَلكَ حتى لا يَفضَحَني ، وقدْ ارتكبَ هَذِهِ الأُمُورَ مِنْ رَمى نفْسه بالسَّرقةِ لِفرْطِ مُرُوءَتهِ ، وَكَرمِ نفْسِه ، فقالَ خالدٌ : إنَّهُ لخَليقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادهِ ، ثمَّ استَدْعَى الفَتَى إليْهِ فقبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وأمَرَ بإحْضَارِ أبِى الجَارِيَةِ ، وقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الْحُكم فى هَذَا الْفَتَى بالقَطْعِ ، ولكنَّ الله عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ . وقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذلِهِ يَدَهُ حِفْظاً لِعرضكَ وعِرْضِ بنْتِكَ وصِيانَتِكُما مِنَ الْعَار . وقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِكَ بعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَم حَيْثُ أخْبَرتْنى بحَقِيقَةِ الأَمْرِ . وأنَا أَسْأَلُكَ أن تَأْذَنَ لِى فى تَزْويجِهَا مِنْهُ ، فقَالَ الشيخُ : أيها الأميرُ ! قد أذِنتُ لكَ فى ذلكَ ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأثنَى عَلَيْهِ ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنةً ، (وأدْرَكَ شهر زَادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاح) .

(ب) الشعر

(١) بشَّار بن بُرْد[١]

قال بشّـار بن برد يهجو العبّاس بن محمد بن على بن عبد الله بن عبـاس ، وقد استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسار على العبّاس ممدود وقلبُـه أَبداً بالبخل مَعقود[٢]
إنَّ الـكريمَ ليخفى عنك عُسْرَته حتى تراهُ غَنِيـاً وهو مَجهود[٣]
وَللبخيـل على أمواله عِللٌ زُرقُ العيون عليها أَوجهٌ سود[٤]

---

(١) هو أبو معاذ بشـار بن برد ، أصـل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى فآل ملك أبى بشار لبنى عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ منهم العربية وتعلم الشـعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجـدرى فصار قبيح المنظر ، ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة فى الشـعر قوية ، يعد من أكبر شعراء عصره وفى مقدمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعانى المخترعة فى الشعر العربى ، وكان كثير الهجاء للناس ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة ، لايبالى ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام فى أعراض الناس . وقد تصرف بشار فى فنون الشـعر ومعانيه ، وذاع شعره فى زمانه ، وصار اماما بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الغنى . معقود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) علل جمع علة بالكسر اى حجـة وعـذر يمنعه الكرم . ويريد بالشـطر الثانى أنها حجج بغيضة كريهة .

إذا تـكَرَّهتَ أن تُعطى القليلَ ولم　　تقدر على سَعَةٍ لم يَظهر الجُود(١)
أَوْرِق بخير تُرجَّى للنوالِ ؛ فما　　تُرْجَى الثمار إذا لم يُورق العُود(٢)
بُثَّ النَّوالَ ، ولا تَمنَعْك قلَّتُهُ ؛　　فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود

وقال يتغزَّل وقد نهاه الخليفة المهدى عن الغزل :

يا مَنظراً حسناً رَأَيْتُهُ　　مِنْ وَجهِ جاريةٍ فَدَيْته
بَعثَتْ إلىَّ تَسومُنى　　ثَوبَ الشباب ، وقد طَوَيتُهْ(٣)
واللهِ ربِّ مُحمدٍ　　ما إن غَدَرْتُ ، ولا نَوَيْتُهْ(٤)
أمسكتُ عنك ، وربَّما　　عَرضَ البلاءُ ، وما ابتغَيْتُهْ
إن الخليفةَ قد أبَى　　وإذا أَبَى شيئاً أَبَيْتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخِصِ البَنا　　نِ بَكى علَىَّ ؛ وما بكَيْتُهْ(٥)
ويَشُوقُنى بيتُ الحبيب　　إذا ادَّكرتُ ، وأين بَيْتُهْ(٦)
قام الخليفةُ دونَه ؛　　فصبرتُ عنهُ ، وما قَلَيْتُهْ(٧)
ونهانىَ الملكُ الهُما　　مُ عن النِّساء ، وما عَصَيْتُهْ(٨)

---

(١) تكرهت الشىء : تسخطه وفعلته على كره . السعة هنا : العطاء الكثير ، أى اذا تأخرت عن بذل القليل ، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء .

(٢) أورق الشجر : ظهر ورقه.النوال : العطاء ، يسأله اظهار العطاء ولو قليلا ، فانه اذالم يعط القليل لا يرجى منه الكثير .

(٣) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن أغازلها .

(٤) نويته : أى الغدر .

(٥) المخضب : الملون بالخضاب . رخص : لين ناعم . البنان : أطراف الأصابع ، جمع بنانة .

(٦) يشوقنى : يهيجنى : ادكرت : تذكرت .

(٧) قليته : أبغضته .

(٨) الهمام : الملك العظيم الهمة .

لا بل وفَيْتُ ، فلم أضع عهداً ، ولا رَأياً رأيتُه (١)
وأنا المُطِلُّ على العِدَا وإذا غلَا الحمدُ اشتريتُه (٢)
أصفى الخليل إذا دنا وإذا نأى عنى نأيتـه (٣)
وأَميلُ فى أنسِ النديـم من الحياء ، وما اشتهيتُه (٤)

قال يرثى ولداً له :

جَارَتَنَا لا تجزَعى وأَنيبى أَتَانى مِن المَوتِ المُطِل نَصيبى (٥)
بُنَىَّ عَلَى رَغمى وسُخْطِى رُزِئْتُه وَبُدِّلَ أَحْجاراً وَجَالَ قَلِيبِ (٦)
وكان كريحانِ الغصونِ تخاله ذوى بعد إشراقٍ يسر وطيبِ (٧)
أصِيبَ بُنَىَّ حين أوْرَقَ غُصنُه وَألقى عَلَىّ الهَمَّ كلُّ قَرِيب
عَجِبْتُ لإسْراع المَنِيَّةِ نَحْوه وَمَا كانَ لَوْ مُلِّيتُه بعَجِيب (٨)

ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدح عُمرَ بن هُبيرَة حين وفد عليه بالعراق :

جَيْش كَجُنحِ الليل يزحَفُ بالحَصَى وبالشَّوْكِ والخَطِّىِّ حُمرٌ ثَعَالِبُه (٩)

---

(١) النأى : البعد .

(٢) المطل على العدا : المستمر فى ايذائهم . الحمد : الثناء . يقول : اننى مع خضوعى لأمر الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشترى الثناء ببذل المال .

(٣) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيته : بعدت عنه .

(٤) يميل فى أنس النديم :يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضاالمشارك فى الشراب . اشتهيته : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٥) انيبى : ارجعى الى هداك.المطل : المؤذى.يقول لجارتهلتكن فى مصيبتى أسوة لك وعزاء

(٦) رزئته : فقدته : الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الغصن : يبس . الاشراق هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت بقائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فى خِدْرِ أُمِّها تُطَالِعُنَا والطَّلُّ لم يَجْرِ ذَائِبُـــه(١)
بضَرْب يذوقُ الموتَ من ذَاق طَعْمَه وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرَارَ مَثَالِبُه(٢)
كأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وأَسْيافَنَا لَيْـلٌ تَهاوى كَوَاكِبُه(٣)
بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الفُجَاءَةِ ، إِنَّنا بَنُو الموتِ خَفَّاقٌ علينا سَبَائِبُه(٤)
فَرَاحُوا فَريقٌ فى الإِسَارِ وَمِثْلُه قَتيلٌ ومِثْـلٌ لاذَ بالبَحْرِ هَارِبُه(٥)
إِذَا الملكُ الجَبَّار صَعَّر خَـــدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بالسُّيوفِ نُعَاتِبُـــه(٦)

***

إِذَا كُنْتَ فى كلِّ الأُمورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذى لاَ تُعَاتِبُه(٧)
فَعِشْ واحِداً أَوْ صِلْ أَخاكَ فإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُه(٨)
إِذا أَنْتَ لم تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى القَذَى ظَمِئْتَ وأَىُّ الناس تصفو مَشَارِبُه(٩)

---

(١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .

(٢) بضرب متعلق بغدونا فى البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهى فاعل تدرك . ونجى نجاه بحذف العائد يقول : ان عدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .

(٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .

(٤) الفجاءة : البغتة . السبائب : جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .

(٥) الاسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .

(٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتبه بالسيوف: نقاتله .

(٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفى فى الناس صـــديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات .

(٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٩) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه . أى اذا لم تتحمل الحياة على مابها من نقص تعبت وليس فى الدنيا انسان كامل الخلال .

(٢) قال السَّيِّدُ الْحِمْيَرِىّ[١] يخاطب أبا عبد الله السفّاح

لما استقام الأمر لبنى العبّاس

دُونَكُموها يا بَنِى هَاشِمٍ فَجَدِّدُوا من عهدِها الدارِسا[٢]

* * *

دونكموها فالبسُوا تاجَها لا تَعْدَمُوا منْكُمْ له لابسا[٣]

لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرْسَانَهُ ما اخْتَارَ إلاّ مِنكُمْ فارِسا[٤]

قد سَاسَها قبلكم سَاسَةٌ لم يتركوا رَطْباً ولا يابِسا[٥]

ولستُ مِنْ أن تملكوها إلى مهبِط عِيسَى فيكُمُ آيسا[٦]

---

(١) هو اسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحى .

(٣) البيت : دعاء لبنى العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو سائس والجمع ساسة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) أيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وقال :

ماجَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْبِ مِنِّى   فِيكِ إلاَّ اسْتَتَرْتُ عَنْ أَصْحَابى
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِى فإن كُنْتُ وَحْدِى   خَالِياً ، أَسْعَدَتْ دُمُوعى انْتحَابى[(١)]
إنَّ حُبِّى إيَّاكِ قَدْ سَلَّ جِسْمِى   وَرَمَانى بالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَاب[(٢)]
لَوْ مَنَحْتِ اللقَا ! كَفَى بكِ صَبًّا   هَائِمَ الْقلْب قَدْ ثوَى فى التُّراب[(٣)]

وقال فى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

سَائِلْ قُرَيْشًا إذا ما كنْتَ ذَا عَمَهٍ   مَنْ كانَ أثبتَها فى الدِّينِ أوْتَادَا[(٤)]
مَنْ كانَ أَعْلَمَهَا علْماً وَأَحْلَمَهَا   حِلْماً وَأَصْدَقَهَا قَوْلاً وَمِيعادا
إن يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أبا حَسَنٍ   إن أنتَ لم تَلْقَ لِلأَبْرَار حُسَّادا[(٥)]

(١) أسعده على الأمر : عاونه . والانتحاب : البكاء الشديد .

(٢) سله : أهزله وأضعفه .

(٣) الصب : العاشق ذو الولع الشديد ، وثوى بالمكان يثوى بكسر اواو وثواء : أقام . والثاوى فى التراب : الميت ؛ يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيما أضناه من الحب .

(٤) العمه ، بفتح العين والميم : عمى البصيرة ، والأوتاد : جمع وتد وهو مادق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل.

(٥) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق . ويعدوا يتجاوزوا . هو أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأبرار : جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

قِف بالديارِ وَحَيِّهَا يا مِرْبعُ وَاسْالْ وَكيْفَ يُجيب مَنْ لاَ يَسْمَعُ(١)
إنّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بجوِّهَا إلاَّ الضَّوابح وَالْحَمامُ الْوُقَّعُ(٢)
وَلَقَدْ تَكُونُ بهَا أَوانِسُ كالدُّمَى جُمْلٌ وَعَزَّة والرَّبابُ وبَوْزَعُ(٣)
حُورٌ نَوَاعِمُ لا تَرَى فى مِثلِهَا أَمْثالُهُنَّ مِنَ الصِّيانة أَرْبَعُ(٤)

***

فأسلَمْ فإنّكَ قد نزَلْتَ بمَنْزِلٍ عند الأمير تَضُرُّ فيه وَتَنفَعُ(٥)
تُؤتَى هَوَاكَ إذَا نَطقْتَ بحَاجَة فيه وَتَشْفَعُ عنده فَتُشَفَّعُ(٦)

---

(١) مريع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين . عاد فأنكر ذلك السؤال اذ لا سبيل الى اجابة الديار التى ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوتت . الضوابح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت الا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال.والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء ، وهى لشديدة بياض العين والشديدة سوادها.ونواعم : جمع ناعمة، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيه فى عفتهن .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للمدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ للأَمِيرِ إذا ظَفِرْتَ بخَلوَةٍ ... منه ولم يكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هبْ لِي الذِي احْبَبْتُهُ في أحْمَد ... وبَنِيهِ إنَّكَ حَاصِدٌ ما تَزْرَعُ(١)
يختص آلُ مُحمَّدٍ بِمَحَبَّةٍ ... في القَلْبِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الأَضْلُعُ

جلس المهدى يوما يعطى قريشاً صِلات لهم وهو ولى عهد ، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش ، فجاء السيد الحميرى فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للأمير فأَوْصَلها فإذا فيها .

قُلْ لابْن عَبَّاس سَمِيِّ مُحَمَّدٍ ... لا تُعْطِيَنَّ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمَا(٢)
احرِمْ بَنِي تَيْمِ بن مُرَّةَ إنهم ... شَرُّ البَلِيَّةِ آخِراً ومُقَدَّمَا
إنْ تُعطِهِم لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً ... ويُكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإن ائتمنتَهُم أو اسْتَعْمَلْتَهُمْ ... خَانُوكَ واتَّخَذُوا خَرَاجك مَغْنَماَ(٣)
ولئن منعتَهُم لقد بدءوكُمُ ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعُوا تُراثَ محمد أعمامَه ... وبَنِيهِ وابنتَه عديلةَ مريما(٤)
وتأمّروا من غير أن يُستَخلفُوا ... وكفى بما فعلوا هنالِك مَأْثَما(٣)
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إنْعَامَهُ ... أفيَشْكُرُونَ لِغَيْرِه إن أَنْعَمَا

---

(١) هب لى فلانا : أى أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدى .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أى ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أى يكونوا خلفاء .

وَاللهُ مَنَّ عَلَيْهِمُ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمُ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا(١)

ثُمَّ انبَرَوا لِوَصِيِّهِ وَوَلِيِّهِ بِالْمُنكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا(٢)

(٣) مروان بن أبى حفصة(٣)

قال يمدح المهدى ويحتج لبنى العباس :

طرقتكَ زائرةً فحَيِّ خيالَها بيضاءُ تخلطُ بالجمالِ دَلالَها(٤)

قادت فؤادَكَ فاستقادَ ومثلُها قادَ القلوبَ إلى الصِّبا فأمالَها(٥)

فكأنما طرقتْ بنفحةِ رَوضةٍ سحَّت بها دِيَمُ الربيعِ طِلالَها(٦)

باتت تسائل فى المنامِ مُعَرِّسا بالبيدِ أشعثَ لا يَمَلُّ سُؤالَها(٧)

فى فتية هجعوا غِراراً بعدما سئموا مُراعَشة السُّرى ومطَالَها(٨)

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء وارادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريدبوصيه ووليه على بنأبى طالب . جرعوه العلقم : سقوه المر.

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحي بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيبانى وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنابديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف. يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة. يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تهتز فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مطلها وتسويفها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق. يقول انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فكأنَّ حشوَ ثيابهم هندية ٌ نَحِلتْ وأغفلت القُيُونُ صقالها (١)

طَلَبَتْ أميرَ المؤمنينَ فواصَلَتْ بَعد السُّرَى بغُدُوِّها آصالهَا (٢)

نَزَعَتْ اليْكَ صَوَادِياً فتقاذَفتْ تطْوِى الفَلاةَ : حُزُونَهاو رِمالهَا (٣)

أحْيَا أميرُ المؤمنينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النبى حَرامَها وَحلالهَا (٤)

مَلِكٌ تَفرَّعَ نبعةً من هَاشِمٍ مَدَّ الإلهُ على الأنَام ظِلالهَا (٥)

ثَبْتٌ على زلل الحوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِكل حال حَالهَا (٦)

كِلْتا يدَيْكَ جَعلتَ فَضْلَ نوَالها لِلمُسْلِمينَ ولِلعَدُوِّ وبَالهَا (٧)

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَهَا بأَكُفِّكم أمْ تَحْجُبونَ هِلالهَا (٨)

---

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصدت اليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .

(٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .

(٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها ابانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث .انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الىخطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس.

أمْ تجْحدُون مقَالَةً عن رَبّـكُمْ ... جبْريلُ بلّغَهَا النّبىَّ فقَالهَا (١)
شَهدَتْ من الأنْفَالِ آخرُ آيةٍ ... بتراثِهِـمْ فأردتمـوا إبطَالهَا (٢)

وقال يمدح المهدى — عند ما عقد البيعة لابنه الهادى — ويحتج للعباسيين على الطالبيين :

يا بنَ الذى ورثَ النبيَّ محمدًا ... دونَ الأقاربِ من ذوى الأرْحامِ (٣)
الوحىُ بينَ بَنى البنَاتِ وبَينكم ... قَطَعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خصَامِ (٤)
مَا للنّسـاءِ معَ الرجالِ فَرِيضةٌ ... نَزَلَت بذَلِكَ سُورةَ الأنعَامِ (٥)
خَلُّوا الطريقَ لمعشَرٍ عاداتُهـم ... حَطْمُ المناكبِ كُلَّ يَومِ زحَامِ (٦)
ارْضَوا بما قَسَمَ الإلهُ لكُمْ بهِ ... وَدعُوا وراثةَ كُلِّ أَصيدَ حَامِ (٧)
أَنى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ ... لبَنى البنَـاتِ وراثَةُ الأعمَامِ (٨)

---

(١) تجحدون ، الجحود : الانكار مع العلم .

(٢) التراث : مايتركه الميت لورثته.ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحى : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد على بن أبى طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم فى الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس فى مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامى من يحمى ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد على من فاطمة رضى الله عنهما . والأعمام : العباسـيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهى فى الميراث .

أَلْغَى سِهامَهُمُ الكتابَ فحاولُوا أن يَشْرَعوا فيها بغَيرِ سِهامِ (١)
ظفِرَت بنُو ساقى الحَجيج بحقِّهم وغُرِرْتُمُ بتَوهُّم الأَحْلامِ (٢)
عُقِدَتْ لمُوسى بالرُّصافَة بَيعَةٌ شَدَّ الإلهُ بها عُرَا الإسلامِ (٣)
مُوسى الّذِي عَرفَتْ قُرَيشٌ فَضلَه ولَها فضيلتُها عَلَى الأقوامِ

(٤) العباسُ بنُ الأحنفِ (٤)

قال :

عَدْلٌ من اللهِ أَبْكَانى وأَضْحَكَها فَالحمدُ لِلهِ عَدْلٌ كلُّ ما صنعا
اليوْمَ أَبكى على قَلْبى وأَنْدُبُهُ قَلبٌ أَلَحَّ عليه الُحبُّ فانْصَدَعا (٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد إلى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج إلى أرمينية :

قالُوا . خُراسَانُ أَقْصَى ما يُرَادُ بنا ثم القُفُولُ فقدْ جِئْنا خُرَاسَانا (٦)

---

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك فى الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ فى بغداد فى حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفر على الغزل فى محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعانى ، فهو من شعراء الغزل العذريين وأن لم يحكهم تماما .

(٥) ألح فى السؤال : واظب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول أنهم قالوا ان أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود .

ما أقْدَرَ اللهَ أنْ يُدْنى على شَحَطٍ　　سُكانَ دِجْلَةَ من سُكانِ جَيحَانا(١)
يَا لَيتَ منْ نتمنى عِنْدَ خَلْوَتِنَا　　إذا خَلاَ خَلْوَةً يوماً تمنَّانا(٢)

وقال :

سَلبتْنى منَ السُّرُورِ ثِيابا　　وكَسَتْنى من الهُمُومِ ثيَابا
كلَّما أغلقَت من الوصْل باباً　　فَتَحتْ لى إلى المَنيَّةِ بابا
عذَّبتنى بكل شئٍ سِوَى الصَّـ　　ـدِّ فما ذُقْتُ كالصُّدُودِ عذَابا(٣)

وقال :

إنْ قَالَ لم يَفْعل وإن سيلَ لم　　يَبْذُلْ وإنْ عُوتِبَ لم يُعتِب(٤)
صَبٌّ بعِصْيَانِي ولَو قالَ لِي　　لا تَشْرَبِ البارِدَ لم أشْرَب(٥)
إليكَ أَشْكُو رَبِّ ماحلَّ بى　　من صَدِّ هذا المذنِبِ المُغْضَبِ

وقال :

قَلبى إلى ما ضَرَّ بى دَاعِ　　يُكْثِرُ أَسْقَامِى وأَوْجَاعِى
كَيْفَ احتِرَاسى من عدُوِّى إذا　　كان عدُوِّى بَيْنَ أَضْلاعِى(٦)

---

(١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد. ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) نتمنى : نتمناه .

(٣) الصد والصدود : الاعراض .

(٤) سيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبنى استرضينه فرضى .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم ومثل هذا قول الشاعر :

غضبى ولا والله يا أهلها　　لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يغرم بها فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَـلُومُ سَمِيَّـةُ الظُّـلْمِ مالى رَأَيتُـكَ ناحِلَ الجِسْمِ (١)
يا مَنْ رَمَى قَلْبى فأَقْصَـدَهُ أَنْتَ العَلِيمُ بمَوْضِعِ السَّهْمِ (٢)

(٥) أبو نُوَاس

قال يصف الخمر :

دعْ عنكَ لَوْمى فإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ وَدَاوِنى بالَّتى كانَتْ هى الدَّاءُ (٤)
صَفراءُ لا تَنزِلُ الأحزانُ سَاحَتَهَا لو مسَّها حَجَـرٌ مسَّتْه سرَّاءُ (٥)

---

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده السهم : لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانىء. نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، وكان يكلف بمن يجيدون قرض الشعر . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس فى الشعر حتى بذ أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها ، وكان ماجنا مستهترا . توفر عمله على تحصيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشعر فى أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصـل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون. وأبو نواس يعظم افتنانه ، وقوة تصرفه فى الشعر ،ومتانة أسلوبه ؛ وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الاطلاق. وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشىء يغريه اغراء)حضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لاتلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور!

رَقَّتْ عن الماءِ حتى ما يُلائمُهَا لَطَافةً ، وجَفَا عن شكلها الماءُ (١)

فلَو مزَجْتَ بها نُورا لمازجَهَا حتى تَوَلَّد أنوارٌ وأضواءُ (٢)

دَارَت على فِتْيةٍ دَانَ الزّمانُ لهم فَمَا يُصيبهُمُ إلا بما شَاءُوا (٣)

لِتلك أبكى ولا أبكى لمَنْزِلةٍ كانت تحلُّ بها هِندٌ وأسماءُ (٤)

وقال أيضاً فى الخمر :

ودَارِ نَدامَى عَطَّلوهَا ، وأدلَجُوا بها أثرٌ منهمْ جَديدٌ وَدَارِسُ (٥)

مَساحِبُ منْ جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرى وأضْغَاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ ويَابسُ (٦)

---

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمربلغت من اللطف والرقة ما لم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منها أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت الى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار الىحد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لايستطيع أن يصيبهم بشىء الا مايريدونه هم وما يبتغونه ! .

(٤) المنزلة هنا هى الدار. يريد أن شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لاللمنازل التى كانت تسكنها المعشوقات . كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم ادلاجا : ساروا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من الجلد يحمل فيه الماء ونحوه . الثرى التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من العشب الغض. وجنى أى جنى لساعته بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بها صَحْبِى وجَدَّدت عَهْدَهُم وإنِّى عَلَى أمثـالِ تِلك لَحَابِسُ(١)
تَدُورُ علينـا الراحُ فى عَسْجدِيَّة حبَتْها بأنْواعِ التصاوير فارسُ(٢)
قَرَارَتَها كِسْرَى ، وفى جَنَباتِها مَهًا تَدَّرِيهـا بالقِسِىِّ الفَوارِسُ(٣)
فلِلْخمرِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبُهُمْ ولِلْماءِ مَا دَارَت عليـهِ القَلانِسُ(٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وإذَا المَطِىُّ بِنـا بَلغْنَ مُحمَّداً فَظُهورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ(٥)
قَرَّبْنَنَا من خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى فَلَهَا علينْـا حُرْمَةٌ وذِمَامُ(٦)
رفعَ الحِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِناظِرٍ قَمرٌ تَقَطَّعُ دُونَه الأوهَـامُ(٧)

---

(١) يريد أنه ألزم صحبه هـذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث . اذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب وحباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسـفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشـية يضرب بها المثل فى حسن العيون . ادرى الصـيد : ختله وادرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس . والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصـورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصـور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : انهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغى ألا يركبها أحد اكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف احدى التاءين . يقول الشاعر انه حين بدا الأمين . فاذا هو قمر لاتستطيع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبها طلعته .

مَلِكٌ إذا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ لا يَعْتَرِيكَ البؤسُ والإعدَامُ(١)

فَالبَهْوُ مُشْتَمِلٌ ببدورِ خِلافَةٍ لَبِسَ الشَّبَابَ بِنُورِهِ الإسْلامُ(٢)

سَبْطُ البَنَانِ إذَا احْتَبَى بِنجادِهِ فَرَعَ الجماجِمَ والسِّماطُ قِيامُ(٣)

إنَّ الذي يُرضِي الإلَهَ بِهَدْيِهِ مَلِكٌ تَرَدَّى المُلْكَ وهْوَ غُلامُ(٤)

مَلِكٌ إذَا اعْتَسَرَ الأُمُورُ مُضَى به رَأْيٌ يَفُلُّ السَّيْفَ وهْوَ حُسَامُ(٥)

دَاوَى به اللهُ القُلُوبَ من العمَى حتى أفقْنَ وما بِهِنَّ سَقَامُ(٦)

أصْبَحتَ يَابْنَ زُبَيْدَةَ ابنة جَعفرٍ أملًا لِعَقْدِ حِبَالِهِ استحكامُ(٧)

فَسَلِمْتَ للأمر الذي تُرجَى لَهُ وتقاعَسَتْ عَنْ يومِكَ الأيامُ(٨)

---

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر والاعدام كذلك . يصف كرم الممدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت. ومشتمل : مزدان . ومعنى الشطر الثانى أنه أعاد للدين سلطانه.

(٣) السبط : السهل الذى لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حمائل السيف التى يتعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيغها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاؤهم وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : ان أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

وَلَقد تجوبُ بِيَ الْفَلاةَ إذا   صَامَ النَّهَارُ وقالت العُفرْ (١)

شَدَنيةٌ رَعَت الحمَى فأتَتْ   مِلءَ الجِبَال كأنها قَصْرُ (٢)

تَثْنِي على الحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ   تعمَالُه الشَّزَرَان والخَطْرُ (٣)

أَمَّا إذا رفعَتْهُ شَامِذَةً   فتقولُ رَنَّقَ فوقَها نَسْرُ (٤)

أمَّا إذا وَضَعَتْهُ عَارِضَةً   فتقولُ ارخِيَ فوقها سِتْرُ (٥)

وتُسِفُّ أحيَاناً فتحْسِبُها   مُترسِّماً يقتادُهُ أثرُ (٦)

فإذا قصَرْتَ لها الزِّمَامَ سَمَا   فَوقَ المَقَادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ (٧)

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال:« قال الرجل يقيل» اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى أنها لتجوب به الصحراء فى الوقت الذى ينتصف فيه النهار ، وتقيل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلأ أكلته . وحمى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الجبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمنع على غيرها : فقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحلدان : وأحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصال:جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا . وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(٤) شامذة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالي الأمامية . الملطم : الخد . حر أصيل .

وقال :

أَثْنِ عَلَى الخمـرِ بآلائِها   وسمِّهَا أحسنَ أَسمائِها(١)

لا تجعَـل المـاءَ لها قَاهِراً   ولا تسلطها عَلَى مَائِها(٢)

كَرْخِيَّةٌ قد عُتِّقت حقبَةً   حتى مَضَى أكثرُ أجزائِها(٣)

فـلم يكَدْ يُدْرِكُ خَمَّارُها   منها سِوَى آخِرِ حَوبائِها(٤)

دارَتْ فأحيَتْ غيرَ مذمُومَةٍ   نفوسَ حَرَّاهَا وأَنْضَائِها(٥)

والخمرُ قد يشربُها مَعشرٌ   ليسوا إذا عُدُّوا بأكفائِها

وقال فى الطرَد ينعت كلب الصيد :

لمـا تبَدَّى الصبحُ منْ حِجَابِهِ   كطلعةِ الأشمطِ من جِلبابه(٦)

وانعدَلَ الليـلُ إلى مآبه   كالحبَشى افـتَرَّ عن أنيابه(٧)

هِجنا بكلبٍ طالما هِجنا به   ينتَسفُ المقودَ من كَلَّابه(٨)

---

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محله ببغداد وغيرها. وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها. والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) أفتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كأنَّ مَتْنيهِ لدى انسِلاَبِه   مَتنا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابه(١)

كَأَنمَا الأظفورُ فى قِنابِه   مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فى نِصابِه(٢)

تَراهُ فى الحَضْرِ إذا هَاهىٰ بِه   يكاد أن يخرجَ مِنْ إهابه(٣)

وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور :

أيُّها المنتابُ عن عُفرِهْ   لستَ من ليلى ِ ولا سَمَرِهْ(٤)

لا أذودُ الطيرَ عَنْ شَجَرٍ   قَدْ بَلَوْتُ المرَّ مِنْ ثمَرِه(٥)

قد لبِستُ الدهرَ لِبسَ فتًى   أخَـذَ الآداب عَنْ غِيَرِه(٦)

فاتّصِلْ إن كُنتَ مُتَّصِلًا   بِقُوى مَن أنتَ مِن وَطَرِه(٧)

خفتُ مأثورَ الحديثِ غدًا   وغَدٌ أدنَى لِمنتَظِرِه(٨)

---

(١) انسلابه : اسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب فى مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويا .

(٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر .والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر فى أصل المخلب ، كحديدة الموسى فى النصاب .

(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغابة فى أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون وبضمتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلا .

(٥) لا أدفع عمن نالنى شره .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصـلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال بك دونى .

(٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

خابَ من أسرَى إلى بَلَدٍ　غيرِ معلُومٍ مَدَى سفَرِه(١)

وسدَّتهُ ثِنْيَ ساعِدِه　سِنَةٌ حلَّت إلى شُفرِه(٢)

فَامض لا تَمنُن علَيَّ يدًا ، مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِه(٣)

رُبَّ فِتيانٍ رَبَأْتُهُمُ　مَسْقَطَ العيُّوقِ مِن سَحَرِه(٤)

فاتقوا بِي ما يَرِيبُهُمُ.　إنَّ تَقْوَى الشَّرِّ مِنْ حذَرِه(٥)

وابنِ عمٍّ لا يُكاشِفنَا　قَد لبسناهُ عَلَى غَمَرِه(٦)

كَمَنَ الشنْآنُ فيه لنَا　كَكُمُونِ النارِ فى حَجَرِه(٧)

وَرُضَابٍ بِتُّ أَرْشُفُهُ　يَنقَعُ الظمآنَ مِن خَصَرِه(٨)

عَلَّنِيهِ خُوطُ أَسحِلَةٍ　لانَ مَتنَاهُ لِمُهتَصِرِه(٩)

---

(١) أى خاب من لم ينظر فى العواقب .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثانى أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم فكنت لهم ربيئة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم فى الشدائد ، وهنا أخذالشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يريبهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنآن : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن فى نفسه مثل كمون النار فى الحجر الذى يوريه ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنية : سقانية مرات ، والخوط : الغصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد أسحل : شجر عظيم ينبت بأعالي نجد . والمهتصر : الذي يجذب الغصن (مثلا) ويميله .

ذَا ، ومُغْـبَرٍّ مَخَارِمُهُ   تحسرُ الأبصارُ عَن قُطُرِهِ (١)
لا تَرى عينُ البَصير بهِ   مَا خلَا الآجالَ من بقَرِه (٢)
خاضَ بى لُجيَّـهِ ذو جَرَزٍ   مُقفِرُ الصُقلَين من ضُمُرِه (٣)
يكتسِى عُثنـونُه زَبَدًا   فنَصِـيلاهُ إلى نُخَرِه (٤)
ثم يَعـتَمُّ الحِجاجُ بهِ   كاعتمامِ الفوفِ فى عُشَرِه (٥)
ثم تذرُوهُ الرِّياحُ كما   طارَ قُطْنُ النّدفِ عن وَترِه (٦)
ذُلِّلَت تِلكَ الفجاجُ لَه   فهو مُجتـازٌ على بَصرِه (٧)
كُلُّ حاجَاتِى تَناولهـا   وهو لم تُنْقَضْ قُوَى أَشَرِه (٨)
ثم أدنَانِى إلى مَـلِكٍ   يأمنُ الجَانِى إلَى حُجُرِه (٩)

---

(١) ذا ، أى فعلت هذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحصر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصير به :من يعرفه . والآجال : جمع اجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطخ به مشافر الفرس . ونصيلان : مثنى نصيل : حجر مستطيل يدق به يشبه به لحى الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحييه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شـجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذروه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهدى بصيرته.

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السير التىأرجوها منه مع بقاء قوته تامة.والقوى: طاقات الحبل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجىء اليه . والحجر : حضن الانسان .

تأخذُ الأيدى مظَالِمهـا   ثم تَسـتَذرى إلى عَصَره(١)
كيفَ لا يُدنِيكَ مِن أمَلٍ   مَن رَسولُ اللهِ مِن نَفَره(٢)
فَاسلُ عن نوء تُؤمّله   حسبُك العباسُ مِن مَطَره(٣)
مَلِكٌ قَـلَّ الشـبيهُ لَهُ   لم تَقعْ عينٌ على خَطَره(٤)
لا تَغَطَّى عنـهُ مكرُمَةٌ   برُبَا وادٍ ولا خَمَـره(٥)
سَـبق التفـريطَ رائدُهُ   وكفاهُ العينَ مِن أثَره(٦)
وإذا مَجَّ القَنـا عَلقـاً   وتَراءى الموتُ فى صُـوَره(٧)
رَاحَ فى ثِنْيي مُفَاضَـتِه   أَسَـدٌ يدمَى شَبَا ظُفُرِه(٨)

---

(١) تستذرى : تلتجىء . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدى مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون اليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .

(٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك الى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .

(٣) النوء : النجم يمطر الناس ابان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .

(٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .

(٥) لا تغطى : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يترك من شجر وغيره أى لا يترك مكرمة الا فعلها .

(٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وارسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : ان العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .

(٧) مج : لفظ ورمى . والقنا الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .

(٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : انه يعود من الحرب مدرعا كالأسد وقد احمرت شباته من دماء الأعداء .

تَتأبَّى الطيرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبعِ من جزرِه [١]
وتَرَى الساداتِ مائلةً لسَليل الشمسِ من قمرِه [٢]
وكريم الخالِ مِنْ يَمَنٍ وكريم العَمِّ من مُضَرِه [٣]
فَهُمُ شَتَّى ظُنونُهُمُ حذَرَ المكنون من فكرَه [٤]

(٦) أَبانُ اللّاحقِىّ [٥]

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم فى الخلافة دون بنى علىٍّ رضى الله عنهما .

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللهِ مَن كَانَ مُسْلِمًا أَعُمُّ بِمَا قَدْ قُلْتُهُ العُجْمَ والعَرَبْ [٦]
أَعَمٌّ رَسُولِ اللهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أَمْ ابْنُ العَمِّ فِى رُتْبَةِ النَّسَبْ [٧]

---

(١) تتأبى : تتعمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للممدوح أو لوالده .

(٣) الممدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة منوعة يقول : ان السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه واجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقى من الشعراء السياسيين الموالى المنتصر للفرس على العرب فى مداراة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة .

(٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القربة . يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وَأَيُّهمَا أَوْلَى بهِ وبعهْدِهِ ... وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بمَا وَجَبْ (١)
فَإن كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَ بتِلْكُم ... وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى سَبَبْ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَهُ ... كَمَا العَمُّ لِابْنِ العَمِّ فى الإرْثِ قَدْ حَجَبْ (٢)

وبعث بهذه الأبيات للفضل بن يحيي :

يَا عَزِيزَ النَّدَى ويَا جَوْهَرَ الجَوْ ... هَرِ مِن آلِ هَاشِمٍ بِالبِطَاحِ (٣)
إنَّ ظَنِّى ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّى ، ... بِكَ فِى حَاجَتِى سَبِيلُ النَّجَاحِ
إنَّ مِنْ دُونِهَا لَمُصْمَتَ بَابٍ ... أَنتَ مِن دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِى (٤)
تَاقَتِ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ ... نَحْوَ بَحرِ النَّدَى مُجَارِى الرِّيَاحِ (٥)
ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِى وَاسْتَخَرْتُ الـ ... ـلَّهَ عِندَ الإمْسَاءِ والإصْبَاحِ (٦)
وَامْتَدَحْتُ الأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللّٰـ ... ـهُ بِشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأَوْضَاحِ (٧)

---

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق فى الخلافة .

(٢) يقول فى البيتين : انه اذا كان العباس أحق بالارث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه فى الرتبة لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ماورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الارث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظير . والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تاقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضح اسم للغراة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا من بُغيَةِ الأَميرِ وَكَنْزٌ مِن كُنُوزِ الأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحِ (١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النُّصَّاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ مِن الرِّيـ ـشَةِ أَوْ مايَكُونُ تَحْتَ الجَنَاحِ (٢)

* * *

إِنْ دَعَانِى الأَمِيرُ عَايَنَ مِنِّى شَمَّرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ (٣)

(٧) مسلم ابن الوليد (٤)

قال :

إِذَا المرءُ لم يَبذُلْ مِن الوُدِّ مثلَ مَا بَذلْتُ لهُ فاعلَمْ بأنِّى مُفَارِقُهُ
فَلا خيرَ فى وُدِّ امرئٍ مُتَكارِهٍ عَلَيْكَ ، ولَا فى صَاحِبٍ لاتُوافِقُه

وقال :

دلَّتْ على نفسِها الدُّنيا ، وصَدَّقَها مَا استَرجَعَ الدهرُ مِمَّا كانَ أعطَانِى (٥)
ما كنتُ أدَّخِرُ الشكْوَى لِحَادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدهرُ أسرارى فأشْكَانِى (٦)

---

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده .

(٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه مايكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضى فى الأمور . والبلبل طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .

(٤) نشأ صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بافساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٣٠٨ هـ .

(٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا : ما يضن به ويريدبها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِل بن علىّ الخُزَاعى الشاعر :

أما الهِجَاءُ فدَقَّ عِرضُكَ دُونَهُ والمدحُ عنْكَ كما علمتَ جَليلُ(١)

فَاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضكَ إنَّه عِرضٌ عززْتَ به وأنتَ ذَليلُ(٢)

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إنى غَيْر معمُودِ نهى النُّهَى عن هَوَى البيضِ الرعاديد(٣)

* * *

مُوَحَّدُ الراىِ تَنْشَقُّ الظنونُ لَهُ عَن كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْها ومعْقُودِ(٤)

كالليثِ بل مِثلُهُ الليثُ الهَصُور إذا غَنَّى الحَديدُ غِناءً غيرَ تَغْريدِ(٥)

يلقَى المنِيَّةَ فى أمثَالِ عُدَّتِها كالسيل يَقْذِفُ جُلمودا بجُلمُودِ(٦)

نَفْسِى فِدَاؤُكَ يَا داودُ إذ عَلِقَتْ أيدِى الرَّدَى بنَواصِى الضُّمَّرِ القُودِ(٧)

يجُودُ بالنفس إن ضَنَّ الجواد بِهَا والجود بالنَّفسِ أقصَى غَايَةِ الجُودِ

---

(١) دق : صغر فلا تحتمل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لايصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لاتدع بى الشوق : لا تنسبنى اليه . المعمود : من هده العشق . النهى : جمع نهية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب التغريد للطائر : رفع الصوت بالغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر اعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

وما ابْقَتِ الأيامُ مِنّى ولا الصِّبَا ... سوى كَبِدٍ حَرَّى، وقلْب مُقَتَّلِ (١)
وَيومٍ من اللذَّاتِ خَالَسْتُ عيْشَهُ ... رَقِيباً عَلَى اللـذاتِ غيرَ مُغفَّلِ (٢)
فكُنتُ نَديمَ الكأسِ حتى إذا انقضت ... تعوَّضْتُ مِنهَا رِيقَ حَوراءَ عيْطَلِ (٣)
نَهانِيَ عَنها حبهَا أنْ أرِيبَهَا ... بسُوءٍ ؛ فلَم أفتِكْ ولم أتبَتَّلِ (٤)
سقَتْنِى بِعَيْنَيْهَا الهوَى وسقَيْتُها ، ... فدَبَّ دَبيب الرَّاحِ فِى كلِّ مَفْصِلِ (٥)
فلمَّا اسْتَمَرَّتْ منْ دُجَى الليلِ دَولَةٌ ... وَكادَ عَمُودُ الصُّبح بالصُّبْحِ ينْجَلى (٦)
ترَاءَى الهوَى بالشوقِ ، فاستحدَثَ البكا ... وَقَالَ لِلَـذَّاتِ اللِّقَـاءِ : تَرَحَّـلى (٧)
فَلَمْ تَرَ إلا عَبْرَةً بَعْد عَبْرَةٍ ... مُرَقْرَقَةً أو نظـرَةً بتَأَمُّـلِ (٨)

وقال :

يا رُبَّ خِدْنٍ قد قَرَعْتُ جبينَهُ ... بالطَّاسِ والإبريق حَتَّى مَالا (٩)
أنْهَضْتُه مِنْ بَعْدِ ما أسْكَرتُهُ ... فَمَشَى كأنَّ برِجْلِهِ عُقَّالا (١٠)

* * *

---

(١) الكبدى الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل . قتله العشق

(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . ويريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .

(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديدان . العيطل : الطويلة العنق فى حسن

(٤) أفتك : اتبذل . أتبتل : أمتنع متحرجا . يقول : ان حبى لها أكرم موضعها عندى فلم أسرف ولم أتحرج وانما كان لهو معتدل .

(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .

(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .

(٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .

(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور فى باطن العين .

(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الاناء يشرب فيه . يريد ساقيته الخمر .

(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لايستطيع المشى لشدة السكر .

فإذا نظرْتَ رأيتَ قوماً سَادَةً   ونجابةً ومهَابةً وجَمالا
ولَدَيهمُ كَرْخيَّةٌ شمْسيَّةٌ   قد خُبِّيَتْ في دَنِّها أحْوالا[١]
حتَّى إذا بلَغتْ وحَانَ خِطابُهَا   سَاومْتُ صاحِبَها الْبياعَ فغَالاَ[٢]
وكأنَّما السَّاقِ لَدَى إبريقهِ   بدرٌ أنارَ ضيَاؤُه فتلألاَ[٣]
يَسقيكَ بالعيْنَيْنِ كأسَ صَبَابةٍ   ويُعيدُهَا من كَفِّهِ جرْيالا[٤]
أصْبحتُ كالثَّوبِ اللبيسِ قداخْلَقَت   جِدَّاتُه مِنْهُ فعَادَ مُذَالاَ[٥]
وبَقيتُ كالرَّجُلِ الْمُدَلَّهِ عقلُه   أشْكو الزمانَ وأضربُ الأَمثالاَ[٦]
سَالَت عُذَّالِي فأبَوا بالرِّضَا   منِّى ، وكنتُ أحاربُ العُذَّالاَ[٧]
ولقد علمتُ بأنه مامِنْ فتًى   إلَّا سَيُبْدَلُ بعدَ حال حالا

وقال من وَزْن مُوَلَّد :

يأيُّهَا المعمودُ   قَدْ شَفَّكَ الصدُودُ[٨]
فأنتَ مُسْتَهامٌ   حالفَكَ السُّهُودُ[٩]

---

(١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تختزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول . وهو العام .

(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشترى السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى المثن وزاد .

(٣) تلالا : تلألأ وأضاء

(٤) الصبابة : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين احداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .

(٥) اللبيس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مذالا : مهينا مبتذلا .

(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل اذا أسن وخرف .

(٧) العذال : اللائمون . آبوا : رجعوا

(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : اعراض الحبيبه ، يتحدث الشاعر عن نفسه .

(٩) المستهام : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبيتُ ساهِرًا قَدْ وَدَّعَكَ الهُجُودُ(١)

وفي الفؤادِ نارٌ ليسَ لها خُمود

تَشُبُّها نيرانٌ من الهَوَى وقُودُ(٢)

إذَا أقولُ يوماً قَدْ أُطفِئتْ تَزِيدُ

يَا عاذِلَيَّ كُفَّا فإنَّنِي مَعمودُ

أكْثَرْتُمَا تَفْنِيدِي لو يَنفَعُ التفنيدُ(٣)

قَد أقْصَدَتْ فُؤادِي خَمْصَانَةٌ خَرِيدُ(٤)

هِجرَانُها قَريبٌ ووَصلُها بَعيدُ

* * *

مَن لامَ في هواها فَنُصحهُ مَردودُ

يا سِحرُ واصِلِينِي فإنَّني عَميدُ(٥)

إنِّي لِمَا أُلاقِي من حُبِّكُمْ مجهود

جُودِي لِمُستَهامٍ عَذَّبَه التَّسهِيدُ

نَسهَرُ من هَواكُمْ وأَنتمُ رُقُودُ

حَتَّى مَتَى مُنَايَ لا يُنْجَزُ المَوعُودُ

صَارَ الهَوى بقَلْبِي يُبْدِي كما يُعيدُ

* * *

---

(١) الهجود : النوم .

(٢) تشنها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .

(٣) التفنيد : اللوم .

(٤) أقصدت فؤادى : طعنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحيية .

(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

وَسَادَةٍ سَرَاةٍ ما فيهمُ مَسُودُ(١)
كُلُّهمُ جَلِيدٌ مَا فِيهمُ حَرِيدُ(٢)
بَانَ السَّفَاهُ عَنْهُمُ فرأيُهمْ سَديدُ(٣)
يُسْقَوْنَ صَفْو راحٍ لَذيذُها مَوجودُ
كانتْ بِعهدِ نُوحٍ وهُمْ لها جُنُودُ(٤)
حتَّى إذَا أُبيدُوا أُورِثَها ثَمُودُ(٥)
شَمسيَّةٌ شَمولٌ شَيطانُها مَرِيدُ(٦)
مُدَامَةٌ لهَا فِي خُدودِنَا تَورِيدُ
كأن شَارِبِيهَا فِي سُوقِهِمْ قُيُودُ(٧)
حَتَّى انثَنَتْ عُيُونٌ واحمرَّت الخُدودُ
فى مَجلِس نَضِيرٍ يَزِينُهُ الشُّهودُ(٨)

---

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت الينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول: خمراً وباردها.المريد : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : ان شاربيها اقعدهم السكر فكأنهم مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطارِفٌ كِـرَامٌ   بيضُ الوجُوهِ صيدُ(١)
مِنْ فَوقِهِم أطيارٌ   صِيـاحُهَـا تَغْرِيدَ
وتحتَهمْ جِنـانٌ   نَبـاتُها نَضِـيدُ (٢)
وعِنـدَهُمْ دِفافٌ   وزَامِـرٌ وعُـودُ(٣)
خَاضُوا ببحرِ قَصْفٍ   تجـرِى لَهُ مُـدُودُ(٤)
حَـتَّى انتشُوا وقَاموا   مَجلِسُهمْ مَحْمـودُ
مَنْ نَالَ مِثْـلَ هذَا   فإنَّهُ سَعِيـدُ
هَذَا الخُلود عِندِى   لَوْ دَامَ لى الخُلودُ

وقال :

أَدِيرى عَلَيَّ الراحَ سَاقِيـةَ الخَمرِ   ولاتَسأَلينى واسأَلِى الكأس عن أمرى (٥)
كأنَّـكِ بِى قَدْ أظْهرَتْ مُضْمَرَ الحشَا   لَكِ الـكأسُ حَـتَّى أَطْلَعَتْكِ عَلَى سِرِّى (٦)
وقَدْ كُنْتُ أَقْـلِى الرَّاحَ أن يَستَفِزَّنى   فَتَنْطِقَ كَأسٌ عَن لِسانى ولاأدرى (٧)

---

(١) غطارف : جمع غطرف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الاقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر. يقول : الكأس تكشف لك أمرى اذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى.

(٦) أى كأنك ترينني وقد أطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئا فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض. يستفزنى : يستخفني لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى فيظهر سرى دون أن أشعر.

وَلـكنَّنى أَعْطَيتُ مِقْوَدِى الصِّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللهـو مَخـلوعةَ العُـذْرِ (١)
إذَا شِئتُ غَادانِي صَبُوحٌ مِنَ الهوى وإن شِئتُ مَاسَانى غَبوقٌ من الخَمرِ (٢)
ذَهبتُ وَلَمْ أُحـدِدْ بعَينِيَ نَظرةً وأَيقَنتُ أنَّ العينَ هَاتِكَةُ سِـتْرِى (٣)
جَعـلنَا عَلاماتِ المـودَّةِ بينَنـا مَصَايدَ لَحْظٍ ، هُنَّ أَخْفَى من السِّحْرِ (٤)
فأعرِفُ مِنهـا الوصلَ فى لين طَرفِهَا وأعرفُ منهـا الهجرَ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ (٥)
وفى كُلِّ يومٍ خَشيَةً مِنْ صُـدُودِهَا أَبيتُ عَلَى ذَنب ، وأغدو على عُذْرِ (٦)
وَمُلْتَطِمِ الأمْواجِ يَرمى عُبَـابُهُ بجَرجَـرةِ الآذِىِّ لِلعِـبْرِ فالعِـبْرِ (٧)
مُطعَّمَـةٍ حِيتَـانُه ما يُغِبُّهَـا مآكِلُ زادٍ مِنْ غَريقٍ وِمن كَسرِ (٨)

---

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى . يقول : ولكننى عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعى الصبا ، فقادنى مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضـده الغبوق . وغادانى : باكرنى . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ومراسلة النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفطن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين اعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج :ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر.

(٨)مطعمة : شبعة . ما يغبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سـعينة ، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الغرقى والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

إِذَا اعتَنقَتْ فيهِ الجنوبُ تكفّأتْ   جَوَاريهِ أو قَامتْ مع الرِّيحِ لاتَجرى (١)
كأنَّ مَدبَّ الموجِ فى جَنَبَاتِها   مَدبُّ الصَّبَا بَيْنَ الوِعاثِ من العُفرِ (٢)
كشفْتُ أَهَاويلَ الدُّجى عَنْ مَهُولِهِ   بجَارِيَةٍ مَحمولَةٍ حَامِلٍ بكْرِ (٣)
لَطمْتُ بِخَدَّيها الحَبابَ فأصبحَتْ   مُوَقَّفَةَ الدّايَاتِ مَرثومةَ النَّحْرِ (٤)
إذَا أقبلَتْ رَاعتْ بقُنَّةِ قَرْهَبٍ   وإن أدْبرَتْ راقَتْ بقادِمَتَى نَسْرِ (٥)
تَجَافَى بها النُّوتِيُّ حَتَّى كأنَّما   يَسيرُ مِنَ الإشفَاقِ فى جبَلٍ وَعْرِ (٦)
تَخَلَّجُ عَنْ وَجهِ الحَبَابِ كما انثَنَتْ   مُخَبَّأَةٌ مِنْ كِسْرِ سِتْرٍ إلى سِتْرِ (٧)
أطلَّت بمجذَافَيْنِ يَعْتَوِرانِها   وقَوَّمَها كَبحُ اللِّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ (٨)

---

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجوارى : السفن مع تلك الريح تنكفىء أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحرك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متنقلة .

(٣) عاد الى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله . هول النهر .محمولة يحملها الماء.حامل: تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة .يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج.الدايات : أضلاع الكنف او غضاريف الصدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض فى مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج فى جانبى السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهى مرثومة القدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى فى صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه.والاشفاق : الخوف يقول : ان النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير فى جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنتقل فى نواحى البيت وأستاره مستترة .

فَحَامَتْ قلِيلا ثمَّ مرّتْ كأنّهـا عُقَابٌ تدلّتْ مِنْ هَواءٍ عَلَى وَكر (١)

أنافَ بهادِيهَا ومَدَّ زِمَامَها شَديدُ عِلاجِ الكفِّ مُعتمِلُ الظَّهر (٢)

إذا مَا عَصَتْ أرخَى الجريرَ لِرأسها فملَّكها عِصْيَانَها وَهْيَ لا تَدْرِى (٣)

كأنَّ الصَّبَا تحكى بِها حينَ واجهَتْ نَسيمَ الصَّبَا مَشْىَ العَرُوسِ إلى الخِدرِ (٤)

يَمَّمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمامِ لأربَعٍ فجاءَتْ لِستٍّ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهر (٥)

فَما بَلغتْ حَتَّى الطَّلاحُ خَفِيرُها وحَتَّى أتتْ لَوْنَ اللِّحَاءِ مِنَ القِشْرِ (٦)

وحَتى عَلاَهَا الموجُ فى جَنبَاتِها بِأرْدِيَةٍ مِنْ نَسْجِ طُحلُبِهِ خُضْر (٧)

رَمَتْ بالكَرى أهوالُهَا عَنْ عُيونِهم فبَاتتْ أهاويلُ السُّرى بهمُ تَسْرِى (٨)

---

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكأنه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا سفينة تترفق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس الى خدرها ، وهو ما تستتربه من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها الممدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والاعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : ان أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرون فى أهوال ، والأهاويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَؤُمُّ مَحَلَّ الراغِبِينَ وحَيثُ لَا تُذَاد إذَا حَلَّت به أرْحُلُ السَّفرِ[١]
رَكبْنَا إليه البحرَ فى مُؤْخراتِه فأوفَتْ بنَا مِنَ بَعدِ بَحرٍ إلى بَحر[٢]

(٨) أبو العتاهية[٣]

قال :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أيُّهَا القَلْبُ الجَمُوحُ[٤]
لِدَواعِى الخَيْرِ والشَّـ ـرِّ دُنُوٌّ وَنُزُوحُ[٥]
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ منه نَصُوحُ[٦]
كَيفَ إصلاحُ قُلُوب إنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ[٧]
أَحْسَنَ اللهُ بِنَا أَنَّ الخطَايَا لا تَفُوحُ
فَإذا الْمَسْتُورُ مِنَّا بينَ ثَوبَيْهِ فَضُوحُ[٨]

---

(١) تؤم : تقصد أى السفينة . تذاد : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون فى الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) فى مؤخراته : أى فى أواخر ركوبه . يقول ان السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل : غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا

(٤) الطرف العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفى .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الاثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوىء .

كمْ رأيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الـكُشُوحُ[1]
صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَائحُ الدَّهْرِ الصَّدُّوحُ[2]
سَيَصِيرُ المرءُ يوماً جَسَداً ما فيـه رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَى كلِّ حَىّ عَلَمُ الْموتِ يَلُوحُ[3]
كُلُّنَا فى غَفْلَةٍ والـ ـموتُ يَغْدُو ويَرُوحُ[4]
نُحْ على نفسِكَ يا مِسـ ـكِينُ إن كُنتَ تَنُوحُ
لَتَموتَنَّ وإن عُمِّـ ـرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ[5]

ومن قوله :

ألم ترَ ريبَ الدهرِ فى كلِّ ساعةٍ لهُ عارضٌ فيـهِ المنيَّة تلمَـعُ[6]
أيا بانِيَ الدُّنْيَا لغيرِكَ تبتَنِى ويَا جَامعَ الدنيـا لغيرك تجمَعُ
أرى المرءَ وثَّابا على كلِّ فُرصَـة وللمرء يوماً لا محالة مصرَعُ
تبارَكَ مَنْ لا يملِك الملكَ غيرُهُ متى تنقضى حاجاتُ من ليس يشبَعُ[7]
وأَىُّ امرىءٍ فى غاية ليس نفسُه إلى غاية أخرى سـواها تَطَلَّعُ

---

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو مابين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلا منبوذا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهرة وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائبا يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلا .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنيـة : الموت ، يشبهها بالبرق يكون فى السحاب استعارة مكنية .

(٧) فى الشطر الثاني استفهام تعجبى من طمع الانسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رحَلتُ عن الربـع المُحيل قَعُودي إلى ذِي زُحوفٍ جَمَّةٍ وجنودِ(1)
وراعٍ يُراعِي اللَّيل في حِفْظ أمَّةٍ يُدافعُ عنها الشرُّ غيرَ رَقودِ
بألويةٍ ، جبريلُ يقدُم أهلها ورايات نصرٍ حَوله وبُنودِ(2)
تجافَى عن الدنيا وأيقنَ أنَّها مفارقَةٌ ليستْ بدار خلود
وشدَّ عُرا الإسلام منهُ بفتية ثلاثةِ أمـلاكٍ وُلاةِ عهود
هُمُ خَيرُ أولادٍ ، لهمْ خيرُ والدٍ لهُ خير آباء مضَت وجُدودِ
تُقَلِّبُ ألحـاظَ المهابةِ بينهم عيونُ ظِباء فى قلوب أسود(3)
خدودهُم شمسٌ أتَتْ فى أهِلَّةٍ تبدَّت لراءٍ فى نجُوم سعود(4)

وقال :

دَعْنيَ من ذِكْر أبٍ وجَـدِّ ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المَجْدِ
ما الفَخْرُ إلا فى التُّقَى والزُّهْدِ وطاعةٍ تُعْطِي جِنَان الخُلْدِ
لا بدَّ من وِرْدٍ لأَهْلِ الوِرْدِ إما إلى ضَحْلٍ وإمَّا عِـدِّ(5)

---

(1) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل حاجـة ورحلته وكبته . المحيل : الدارس . الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(2) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(3) يقول ان لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسد جرأة ، ولعيونهم ألحاظ تبعث الهيبة والروعة فى النفوس .

(4) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(5) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعد : الماء الذي له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيشٍ يكون أبلغَ من عيـ ـيشِ كفافٍ قوتٍ بقدر البلاغِ(١)
صاحبُ البَغى لَيْسَ يَسْلَمُ منه وعلى نفسهِ بَغى كُلُّ باغِى
ربّ ذى نعمةٍ تَعرَّضَ مِنْهَا حائلٌ بينه وبينَ المساغِ
أَبلغَ الدهرُ فِي مَواعِظه ، بل زَادَ فِيهِنَّ لِي عَلَى الإِبْلاَغِ
غَبَنَتْنى الأيام عَقْلِى ومالِى وَشَبابى وصِحَّتى وفَراغِى

وقال :

لِدُوا للموت وابْنُوا للخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يصير إلى تبَاب(٢)
أَلا يا موت لم أر منكَ بُدًّا أَتَيْتَ وما تَحيفُ وما تُحَابى
كأنكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبى كما هَجَمَ المشيبُ على شَبابى

وقال فى الغزل :

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ مابى أتُحِبُّ الغداة عُتْبةَ حقًّا ؟
فتنفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبّـ ـا جرى فى العروقِ عِرْقا فعِرْقا
لو تَجُسِّينَ يا عُتَيْبَةُ قَلْبى لوجدتِ الفؤاد قرحاً تَفَقَّا(٣)
قد لَعَمْرِى مَلَّ الطَّبِيبُ ومَلَّ الـ أهْلُ مِنِّى مما أُقاسِي وأَلْقَى
لَيْتَنى مِتُّ فاسْتَرَحْتُ فَإِنِّى أَبداً ما حَيِيتُ مِنْهُ مُلَقَّى(٤)

---

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسبُكَ مِمَّا تبتَغِيه الْقُوتُ ما أكثَرَ القوتَ لمن يَمُوتُ

* * *

الفقــرُ فيما جاوز الْكَفَافَا مَن اتَّقى اللهَ رَجَا وَخَافَا

* * *

هى المقادير فَلُمْنِى أو فَذَرْ إن كُنْتُ أخطأتُ فما أَخْطَا الْقَدَرْ

* * *

ما انْتَفَعَ المرءُ بمثل عَقْلِهِ وخَيْرُ ذُخْرِ المرءِ حسنُ فِعْلِهِ

* * *

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَه مَفْسَدَةٌ للمرءِ أىُّ مَفسَدَه

* * *

ما زالتِ الدنيا لنا دَارَ أَذَى مَمْزُوجَةَ الصَّفْوِ بألوان القَذَى

* * *

الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لذا نِتَاجٌ ولذا نتاجُ

* * *

من لك بالمَحْضِ وليس مَحْضُ يَخْبُثُ بَعْضٌ ويطيب بَعْضُ

* * *

إنك لو تَسْتَنْشِق الشَّحِيحَا وجدته أنتَنَ شىءٍ ريحَا

* * *

والخير والشر إذا ما عُدَّا بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جـــدا

(٩) أبو تمام (١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللعِبِ (٢)
بِيضُ الصَّفَائِحِ لاسُودُ الصَّحائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ (٣)
وَالعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لافِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٤)
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ؟
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ (٥)

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائى نسبه الى قبيلة طيىء . ولد فى قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الأدب : وأكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . ويمتاز فى شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء: جمع نبأ ، وهو الخبر يقول : ان السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها فى هذا الأوان ، وقالوا انا نجد فى الكتب أنها لا تفتح الا فى وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : ان السيوف البيضاء هى التى تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى: الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : ان العلم الحق انما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والنبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو منبت على الأنهار ، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل له .

عَجَائِباً زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفِلَةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ (١)

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُوالذَّنَبِ

وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتَّبَةً ... مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ (٢)

يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ ... مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ (٣)

لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْراً قَبْلَ مَوْقِعِهِ ... لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ

فَتْحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشُبِ

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ ... عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ (٤)

أَبْقَيْتَ حَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعُدٍ ... وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ (٥)

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا ... فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ (٦)

وَبَرْزَةِ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا ... كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ (٧)

---

(١) يقول : أنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام – أربعة منقلبة – وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : ان النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويأفكون .

(٤) لمنى : مايتمناه الانسان . وحفل : جمع حافل ، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : ان امانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ما أملت

(٥) الصبب : الانحدار .

(٦) يقول : ان عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم ، وانها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنة الوجه : الفائقة فى الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من ملوك التبابعة باليمن . يقول : ان عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا ... مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ (١)
أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ (٢)
جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يوم أَنْقِرَةٍ ... إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحَبِ (٣)
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ (٤)
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ (٥)
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّيِّ من دَمِه ... لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ (٦)
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّه وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

---

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفى ما فى اللبن من زبدة . يقول :ان الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة متحيرة والضمير فى منها واسمها يرجع على عمورية : يقول : نأ الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها فى حروبهم .

(٣و٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤما على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب اذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قانى الذوائب : أحمر الضفائر : والآنى الحار جدا .وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : ان هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما النار .

(٨) يشله :يطرده. يقول : ان الليل المظلم صار نهارا باشتعال النيران التى كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ ... عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ ... وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ ... وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ (١)
تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا ... عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ (٢)
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى ... بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ (٣)
مَا رَبْعُ مَيَّةَ معموراً يُطِيف به ... غَيْلاَنُ أَبْهَى رُباً من رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٤)
وَلاَ الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ ... أَشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ (٥)
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا ... عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ (٦)
وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدو عَوَاقِبُهُ ... جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ
لَمْ يَعْلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ ... لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالقُضُبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ ... لِلّٰهِ مُرْتَغِبٍ فِى اللهِ مُرْتَقِبِ

---

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول ، ان النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهى لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء.

(٢) تصرح : تكشف. يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ماكان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب دينى ، ويعنى بجنابته ماكان فيه من سبى وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التى أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر فى التراب .

(٦) يقول : ان منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل فى العيون من منظرجميل.

وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْماً وَلاَ حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ (١)

لم يَغْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ (٢)

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فى جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُصِبِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الأَشِبِ (٣)

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لاَ مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)

أَمَانِيــاً سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى السُّيُوفِ وأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلُبِ

إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ (٥)

لَبَّيْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ (٦)

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ (٧)

---

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهمت أسنته : كلت .

(٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بمأمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : ان السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية .والرضاب : الريق .والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحببة لزوجها

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو.والثغور الثانية : أسنان الحسان. وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

أَجَبْتَهُ مُعْلِناً بالسيف مُنْصَلِتاً ... وَلَوْ أَجَبْتَ بغَيْرِ السَّيْفِ لم تُجِبِ (١)
حتى تَرَكْتَ عَمُودَ الشرْكِ مُنْقَعِرا ... ولم تُعَرِّجْ على الْأَوْتَادِ والطنُبِ
لَمَّا رَأَى الحَرْبَ رَأْىَ الْعَيْنِ تَوْفَلِسٌ ... وَالحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنى مِنْ الحَرَبِ (٢)
غَدَا يُصَرِّفُ بالْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا ... فعزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ وَالحَدَبِ (٣)
هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الْأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ ... عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسبِ
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُرْبِى لِكَثْرَتِهِ ... عَلَى الحَصَى وَبِهِ فَقْرٌ إِلَى الذَّهَبِ (٤)
إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودُ الغَابِ هِمَّتُهَا ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِى المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ
وَلَّى وَقَدْ أَلْجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الأَحْشَاءُ فِى صَخَبِ (٥)
أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الردى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ (٦)
مُوَكَّلا بيفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُهُ ... مِنْ خِفَّةِ الخوفِ لا من خفَّةِ الطَّرَبِ (٧)
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيم فقد ... أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحطبِ (٨)

---

(١) الضمير فى أجبته يعود على الصوت الزبطرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم : والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول ان توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب. ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير فى ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير فى ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أحذى : أعطى . وقرابينه : أى المقربين له . يقول : ان توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وفر هو على أحسن مطاياه وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : ان فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لانك أضرمت نارا لا عهد له بها .

تِسْعُونَ أَلْفاً كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالعِنَبِ (١)

يا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دابِرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لَمْ تَطِبِ (٢)

وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ الرِّضَا من رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ

والحَرْبُ قائِمَةٌ في مَأْزِقٍ لَجِجٍ ... تَجْثُو الكُمَاةُ به صُغْراً عَلَى الرُّكَبِ (٣)

كَمْ نيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ ... وَتَحْتَ عَارِضِها مِنْ عارِضٍ شَنِبِ (٤)

كَمْ كانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِها ... إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ ، مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ (٦)

بِيضٌ إذا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ ... أَحَقُّ بالْبِيضِ أَبْدَاناً مِنَ الحُجُبِ (٧)

خَلِيفَةَ اللهِ ! جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالحَسَبِ

بَصُرْتَ بالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

إِنْ كانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٨)

---

(١) يقول : ان جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفي هذا تهكم بقول المنجمين الذى ذكر فى أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولجج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى مايعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : ان قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الغصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغماد . يقول : ان هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء البيض أبدانا من أن تغمد فى جرابها .

(٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع .

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نصرتَ بِهَا ... وَبَيْنَ أَيَّامِ « بَدْرٍ » أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَاسْمِهِمِ ... صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا ... عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُوا غَيَاهِبُهْ (٢)
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَّارِ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ ... عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهْ (٤)
رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً ... رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كُلَّمَا ... هَبَطْنَا مَلًا صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهْ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ ... وَآمِلُهُ غَادٍ عَلَيْهِ فَسَالِبُهْ (٧)

---

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : ان هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهى كور الجمال التى تشبه الأسنة فى الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أى أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافى : فلوات لاماء بها ، والواو للحال : أى أن هذه الابل كانت ترعى الفيافى أيام نضارتها وهى الآن ترعاها الفيافى فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أتت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله. وآمله : طالب العطاء منه : يقول : أنا سرنا الى من يسلب الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقدْ قرَّبَ الْمرَمَى الْبَعيدَ رَجاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ العِزَازَ كتَائِبُهْ
سَمَا لِلْعُـلا منْ جَانِبَيْهَا كِليْهِمَا سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(١)
فَنوَّلَ حتَّى لَمْ يَجدْ مَنْ يُنِيـلُهُ وَحَارَبَ حَتّى لَمْ يجدْ مَنْ يُحَارِبهْ
وأَيْنَ بوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَائِى الْأُمُورِ الْمُشْكلاتِ تَجارِبُهْ(٢)
أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَمَا عَفَتْ مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُه(٣)
فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِى الْبِلادِ وَغَائِرٍ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْىَ مَوَاهِبُه(٤)
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِـكَ رَحْلَهُ فَقَدْ طَالَبَتْـهُ بِالنَّجَاحِ مطَالِبُه(٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِى خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاس(٦)
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّماءِ قِرًى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبّاس(٧)
الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْـكَنَ دِينَهُ فِيهِم وَهُم جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِى
فِى كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِـرِنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّـاسِ(٨)

---

(١) يريد بجانبى العلا الشجاعة فى الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت. وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للمشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأومعروف مبتدأثان.وقرى خبر المبتدأ الثانىوالجملة خبر المبتدأ الأول.ومعروف السماء المطر . يقولان الأرض قوتها المطر. وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا.

(٨) الفرند : رونق الشىء .

هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهِ وَقِيَاسِي (١)

وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمَالٍ اُخْتَالَتْ بِهِ غُرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ

أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ (٢)

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِبْرَاسِ (٤)

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِي بِالَّذِي أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّي وَمِنْ إِينَاسِي

عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَبْرَةٍ لَكِنَّهُ مِنْ يَاسِ (٥)

أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَثَرُ السِّنِينَ وَوَسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لما وَرَدْنا سَاحةَ الحسَنِ انقضَى عَنا تَعَجْرُفُ دَولةِ الإمحالِ (٦)

أحيَا الرجاء لنا برغمِ نوائب كثُرَتْ بِهِنَّ مصَارعُ الآمالِ (٧)

---

(١) يقول : ان همتى استقرت بعد أن أملت أحمدبن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجاربى حققت امالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . والنحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، واياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبى تحول الى شباب ولم يكن مشيبى من كبر ولكنه من يأس ، فلماقصدتك زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الامحال : الجدب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أغْلى عَذَارَى الشِّعر أن مُهورَهَا عندالـكِرامِ ـ وإنْ رَخُصْنَ ـ غَوَالِى (١)
تَرِدُ الظنونُ بنا على تصديقِهـا ويُحَـكِّمُ الآمالَ فى الأموالِ (٢)
ورأيتَنى فسألتَ نفسَك سَيْبَها لِىَ ثم جُدتَ وما انتظرتَ سُؤَالِى (٣)
كالغيث ليس لهُ — أريدَ نوالُه أو لم يُرَدْ — بُدٌّ من التَّهطَالِ (٤)

وقال فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لكَ القَلمُ الأعلى الذى بشَبَاتِه تُصابُ من الأمرِ الـكُلى والمفاصِلُ (٥)
لُعابُ الأفَاعى القاتِلاتِ لُعـابُه وأَرْىُ الجنَى اشتَارَتْه أيدٍ عواسل (٦)
له ريقَـةٌ طَلٌّ وَلـكنَّ وقعَهـا بآثارِه فى الشرقِ والغرب وابل (٧)
فَصيحٌ إذا استنطقتَه وهو رَاكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَهُ وهو رَاجل (٨)

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التى لم تبتذل .

(٢) يقول : ان ما نظنــه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليــه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملنا فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتنى فاقتضيت نفسك اعطائى دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشباة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشباة أشكل بالمعنى الذى أراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق الى الحكمة والاصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور الا فى الصميم .

(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعه . واللعاب : الريق . يريد أنه اذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، واذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطلل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وأن لم يصب من المداد الا يسيرا فان أثره فى شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه .

إذا ما أُمتطى الخمسَ اللِّطافَ وأفرِغَت عليه شِعَابُ الفِكر وهى حَوافل(١)
أطاعتْه أطرافُ القنا ، وتَقَوَّضتْ لنجواه تقويضَ الخِيام الجحافِلُ(٢)
إذا استغْزَر الذهنُ الجلىُّ وأقبلتْ أعاليه فى القِرطاس ، وهى أسافِلُ(٣)
وقد رفَدتْهُ الخِنْصَرانِ ، وسَدَّدتْ ثَلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأنامِلُ(٤)
رأيتَ جَليلاً شأنُه وهْوَ مُرهَفٌ ضَنًى وسَميناً خَطبُه وهو ناحِلُ(٥)

وقال يرثى محمد بن حُميد الطوسى :

كَذَا فليجِلَّ الخطبُ ، وليَفْدَح الأمرُ فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ(٦)
تُوفِّيت الآمالُ بعدَ محمدٍ وأصبح فى شُغلٍ عن السفرِ السَّفْرُ(٧)
وما كانَ إلاَّ مالُ من قلّ مالُه وذُخْراً لمن أمسى ، وليس له ذُخر(٨)
وما كانَ يَدْرى مُجْتدِى جودِ كفِّهِ إذا ما استهلَّت أنهُ خُلِقَ العُسر(٩)

---

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهى هنا مناحى التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .

(٢) القنا : جمع قناة وهى الرمح . وأطراف أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .

(٣) القرطاس : ويجمع على قراطيس الورق .. ويريد بأعالى القلم أسلته (سنه) .

(٤) رفده : أعانه وأمده . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر ، والقمران على الشمس والقمر .

(٥) المرهف : المرفق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .

(٧) السفر : المسافر . يقول : انه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملوم الا فيه . وشغلت الناس الرزيئة فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .

(٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .

(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية والمراد بـ (استهلت) كفه : حتى ان سائليه ماكانوا يدرون أن العسر قد خلق .

ألَا فى سبيلِ اللهِ مَن عُطلَتْ له فِجَاجُ سبيلِ اللهِ ، وانثَغر الثغرُ(١)
فتًى كلما فَاضَت عُيُونُ قَبيلةٍ دماً—ضحِكت عنهُ الأحاديثُ والذكْرُ(٢)
فتى دهرُه شطران فيما ينوبه فَفِى بأسِه شطرٌ ، وفى جُوده شطر(٣)
فتًى مات بين الطعنِ والضربِ مِيتةً تَقومُ مقامَ النصْرِ إذ فاته النصر(٤)
وما ماتَ حتى ماتَ مضرِبُ سيفِه من الضرب،واعتَلَّت عليهِ القَنا السُّمر(٥)
وقد كانَ فَوتُ الموتِ سَهلا فردَّهُ إليهِ الحِفاظُ المُرُّ والخُلقُ الْوعْرُ(٦)
ونَفْسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما هُوَ الكُفْر يومَ الرَّوعِ أو دُونَه الكفر(٧)
فأثبتَ فى مستنقَعِ الموتِ رجلَه وقال لها : من تحت أخْمَصِك الحشر !(٨)
غَدَا غُدوةً ، والحمدُ نسجُ رِدائه فلم ينصرِف إلّا وأكفانُه الأجر(٩)

---

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق. وانثغر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : انه مامن قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها الا ذكره الناس بالفخر لأنه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : انه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر

(٥) مضرب السيف:حده.واعتلت : اعتذرت وتثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنعت بالسمرة كما تنعت السيوف بالبياض . يقول : انه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ماضرب به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد الأنفة يقول : انه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمعه فى بطن الوادى.وأخمص القدم مالايصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجله الى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

تَردَّى ثِياب الموت حُمرا ، فما دَجَا ... لها الليلُ إلا وهْى من سُندس خضرُ[1]

كأنَّ بَنِي نَبهانَ يوم وفاته ... نجُومُ سماءٍ خرّ من بينها البدر[2]

يُعَزَّون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلَا ... ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشِعر[3]

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مَضى ... إلى الموتِ حتى استُشهدا هوَ والصبْرُ[4]

فتًى كان عذبَ الروح لامِنْ غَضَاضةٍ ... ولكنَّ كِبراً أن يقالَ به كِبرُ[5]

فتًى سَلَبَتْهُ الخيلُ وهْو حِمًى لها ... وَبزّتهُ نارُ الحرب وهْو لها جَمْرُ[6]

وقد كانتِ البِيضُ المآثيرُ فى الوغى ... بواتر ؛ فهْى الآن مِنْ بعدِه بُتر[7]

أمِنْ بعد طَىِّ الحادثاتِ محمدا ... يكونُ لأثواب الندى أبدا نَشر[8]

إذا شجرات العُرف جُذَّت أصولها ... فى أى فرع يُوجَدُ الورق النضْر ؟[9]

لئن أبغِضَ الدهرُ الخئونُ لفقده ... لَعَهْدِى به ممنْ يُحَبُّ لهُ الدهرُ[10]

---

(١) تردى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .

(٢) بنو نبهان : قوم المربى . بطن من طيىء .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره مايبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتيل بالصبر عليه وقد مات وماتت معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : انه كان كريم النفس لين الجانب لامن ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال ان فيه تكبرا .

(٦) بزته : يقال بزه ثوبه وأبتزه : سلبه .

(٧) المآثير : جمع مأثور . والسيف المأثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ ولما مات لم يبق لها قوة على النضال .

(٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر اذاكره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظائم ومفاخر فى الحياة .

لئن غـدرتْ فى الروعِ أيامُـه به　　فما زالتِ الأيامُ شيمتُها الغـدر (١)

لئن أُلبست فيـهِ المصيبةَ طـيّئٌ　　فما عَرِيَتْ منها تميمٌ ولا بكر (٢)

كذلك ما ننْفَكُّ نفقِـدُ هالـكا　　يُشاركنا فى فقـده البدو والحضْر

سَقَى الغيثُ غيثاًوارتِ الأرضُ شخصَهُ　　وإن لم يكنْ فِيهِ سحَابٌ ولا قَطر

وكيفَ احتمالى للغيُوثِ صَنيعَةً　　بإسقائها قبراً ، وفى لحـده البحرُ (٣)

مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ رَوضةٌ　　غداةَ ثوَى إلا اشتهت أنها قبرْ

ثوى فى الثَّرى منْ كان يحيا به الثّرى　　ويَغمُرُ صَرفَ الدهرِ نائـلُه الغمْر (٤)

عليكَ سـلامُ الله وقفًا فإنـنِى　　رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ لَهُ عمرُ (٥)

(١٠) دِعْبِل (٥)

قال :

أينَ الشـبابُ ؟ وأيَّةً سلـكا ؟　　لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا (٦)

لا تَعجَـبى يا سَلْم من رَجُلٍ　　ضحِـكَ المشيبُ برأسِـه فبَكى (٧)

---

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيىء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميما وبكرا .

(٣)كيف احتمل للمطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا .

(٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن على بن رزين يمنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ،هجاء خبيث اللسـان ، لا يسلم منه كبير ولا صـغير حتى الخلفـاء ؛ فعاش مكروها مرهوبا حتى توفى سنة ٢٤٦ هـ . وشـعره من النوع المطبوع ذى الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة فى وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبين ، وبميله الى الارهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أى سبيل .

(٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكي طباق .

ياليت شعري كيفَ يومُكما ... يا صاحِبيَّ إذا دَمِي سُفِكا
لا تأخذا بظُلامتي أحداً ؛ ... قلبي وطرْفِي في دمي اشترَكا(١)

ومن قوله يَرثى ابنَ عم له من خزاعةَ :

كَانتْ خُزاعةُ مِلءَ الأرضِ ما اتَّسعَتْ ... فقَصَّ مَرُّ الليالي من حواشيها(٢)
هذا أبو القاسِم الثاوي ببَلْقَعَةٍ ... تَسْفِي الرياحُ عليهِ من سوافيها(٣)
هبَّتْ وقد عَلِمَتْ أن لاهُبوبَ بِهِ ... وقد تكونُ حَسِيراً إذْ يُبَارِيها(٤)
اضحى قِرًى للمنايا إذ نَزلْنَ به ... وكان في سالف الأيام يَقريها(٥)

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يَأْنِ للسَّفْرِ الذينَ تَحَمَّلوا ... إلى وَطنٍ قبلَ المماتِ رُجوعُ(٦)
فقلت ولم أملك سوابِقَ عَبرةٍ ... نَطقْنَ بما ضُمتْ عليه ضُلوعُ(٧)

---

(١) الظلامة بضم الظاء : مااحتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشي : الجوانب .والمفرد حاشية .

(٣) الثاوي : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفي بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها في حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حي يقدم الى الموت ضحاياه من قتلاه في الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأتي : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق برجوع ، والاستفهام للانكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة.وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والاهل.

تبَيَّنْ ! فكم دارٍ تفرَّقَ شملُهــا ! وشَملٍ شَتيتٍ عادَ وهوَ جميعُ(١)
كذاكَ الليالى صَرْفهنَّ كما ترَى ؛ لـكلِّ أُناسٍ جَدْبَةٌ ورَبيعُ(٢)

وكانت مودَّةٌ بين دِعبل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة ، فكتب إليه دعبل :

أبا مَخلَدٍ كنَّا عَقيدَى مَوَدةٍ هَوَانا وقَلبانا جميعاً معًا معَــا(٣)
أَحوطُكَ بالغيب الذى أنت حائطى وأَجْزَعُ إشفَاقاً منَ اُن تتوَجَّعَا(٤)
فصيرتَنِى بعدَ اُنتـكائِكَ مُتْهِمًا لِنفْسى ، عليها أرهبُ الخلقَ أجمعَا(٥)
غَشَشْتُ الهوَى حتى تدَاعتْ أُصولُه بِنَا ، وابتذلتَ الوصلَ حتى تقَطَّعَا(٦)
وأنزلتَ من بين الجوانحِ والحَشَا ذخيرةَ وُدٍّ طالمــا قد تَمنَّعَا(٧)
فلا تَلْحَيَنى ؛ ليس لى فيكَ مَطمع تَخَرَّقْتَ حتى لم أجد لك مَرقَعَا(٨)
فَهبْكَ يَمينى استأ كلَتْ فقَطعتُها وجشَّمتُ قَلبى صَبْرَةً فَتَشَجَّعَا(٩)

---

(١) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ماتفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالتا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاقد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لانتخالف.

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائبا فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن تتألم لشىء ما .

(٥) انتكائك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس جميعا بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتذلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى اصلاحك.

(٩) يمينى : يدى اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأتكل منه . ومعنى الشطر الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَليسَ حَيٌّ منَ الأحيـاءِ نَعلمُه ... مِن ذِي يمَانٍ ، ومن بَكرٍ ، ومِن مُضَرِ (١)

إلاَّ وهُمْ شُركاءُ فى دِمائِهِـــم ... كما تَشَـارَكَ أَيْسَـارٌ عَلَى جُزُرِ (٢)

قَتْلٌ ، وأَسرٌ ، وتَحريقٌ ، ومَنْهبَةٌ ... فعلَ الغُزاةِ بأرض الروم والخَـزَرِ (٣)

أَرَى أُمَيَّـةَ مَعذورينَ إن قَتَلُوا ... ولا أَرَى لبَنِي العباسِ مِن عُذُرِ (٤)

اِربَعْ بِطُوسَ على قبرِ الزَّكِيِّ إذا ... ما كُنتَ ترَبعُ من دِينٍ عَلَى وَطَرِ (٥)

قَبرانِ فى طُوسَ خيرُ الناسِ كُلِّهم ... وقَبرُ شَرِّهِم ؛ هذا من العِـبَرِ

ماينفعُ الرِّجْسَ من قُرْبِ الزَّكِيِّ ولا ... على الزَّكِيِّ بقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ (٦)

هيهاتَ ! كُلُّ امرِىءٍ رهنٌ بما كسبَت ... له يداه ؛ فخُـذ ما شئتَ أو فَذَرِ (٧)

---

(١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفردها : حى ، والشطر الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للمقامرة عليها . يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : ان الأمويين معذورون فى قتل الشيعـة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبرعلى الرضا من آل على بن أبىطالب الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغية أى اذا كنت محتاجا الى أداء حق دينى فعرج على ذلك القبر (قبر على الرضا).

(٦) الرجس : القبيح والقذر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر .. فكل امرىء محاسب على ما عمل .

وقال فى آل بيت الرسول :

مَدارِس آياتٍ خَلَت مِن تِلاوةٍ ومنزِلُ وَحْى مُقفِرُ العَرَصاتِ (١)
لِآلِ رَسول الله بِالخَيفِ مِن مِنَى وبالرُّكنِ والتعريفِ والجمَرَاتِ (٢)
ديارُ على والحُسَينِ وجَعفَرٍ وحمزةَ والسَّجادِ ذى الثَّفِنَاتِ (٣)
ديارٌ عفاها كُلُّ جَونٍ مُبَادرٍ ولم تَعفُ للأَيامِ والسنواتِ (٤)
قِفَا نسأَلِ الدارَ التى خَفَّ أهلُها : مَتى عَهدُها بالصَّومِ والصلواتِ
وأينَ الأُلَى شطَّت بهم غُربة النَّوى أفانينَ فى الآفاقِ مفْترِقاتِ (٥)
وما الناسُ إلا حاسدٌ ومُكذِّبٌ ومُضطغِن ذو إحنة وتِرَاتِ (٦)
إذا ذَكرُوا قَتْلى ببدر وخيبرٍ ويوم حُنين أسبلُوا العبرَاتِ (٧)

***

(١) المقفر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام

(٢) أسماء موضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنات : على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٤) عفاها : محاها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفرده فن . والمعنى أن النون ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد والاحنة : العداوة والحقد . والتراث جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه ابان الدعوة الى الاسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

لَهم كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجع لَهُم فى نَوَاحى الأرض مُختلفات
وقد كانَ منهمْ بالحجازِ وأهلِها مغاوِرُ يُختارُون فى السَّرَواتِ(١)
مَلامَكَ فى أهل النَّبىِّ فإنَّهُم أحبَّاىَ ما عاشوا وأهلُ ثِقَاتِى(٢)
تَخَيَّرتُهم رُشداً لأمرى فإنَّهُمْ على كلِّ حال خِيرَةُ الخِيرَاتِ(٣)
فيارَبِّ زِدْنى من يَقينى بصيرةً وزِدْ حُبَّهُمْ يا رَبِّ فى حسَناتِ
بنفسِى أنْتُم من كُهولٍ وفِتْيَةٍ لفَكِّ عُنَاةٍ أو لحَمل دِيَاتِ(٤)
أُحِبُّ قَصِىَّ الرِّحْمِ منأجل حُبِّكم وأهجُرُ فيكمْ أُسرتى وبَناتِى(٥)
وأكتُمُ حُبِّيكُمْ مَخافةَ كاشِحٍ عنيد ، لأهلِ الحقِّ غَيْر مُواتِ(٦)
لَقد حُفّتِ الأيامُ حولى بشَرِّهَا وإنى لأَرْجُو الأمنَ بعدَ وفاتى
أَلَمْ تَرَ أنِّى مِن ثلاثين حِجَّةً أروحُ وأغدُو دائمَ الحَسَرات
أَرَى فَيئَهُمْ فى غيرهِمْ مُتَقَسَّما وأيديهِمُ مِنْ فَيئِهم صَفِرَاتِ(٧)

---

(١) المغاوير : جمع مغوار ، وهو كثير الغارات . والسروات : السادات ، المفرد : سراة .

(٢) ملامك : أى دع لومك اياى ، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم .

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشىء أو القوم الأفضل .

(٤) بنفسى أنتم : أفديكم بنفسى . والعناة : جمع عان وهو الأسير . والدايات : جمع دية وهى ما يدفع منالمال فى دم القتيل ، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد ، يقول : أحبكم وأن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضمر العداوة . المواتى : الموافق والمناصر .

(٧) الفىء : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات ، يريد أن مال الخراج لا يصل اليهم مع أن لهم فيه حقا .

فآلُ رَسولِ اللهِ نُحفٌ جُسُومُهمْ وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَرَاتِ[١]
بَنَاتُ زِيادٍ فى القصُور مَصونَةٌ وآلُ رَسولِ اللهِ فى الفَلواتِ[٢]
إذَا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أهلِ وترِهمْ أَكُفًّا من الأَوتارِ مُنقَبِضاتِ[٣]
فلولا الذى أرجوهُ فى اليومِ أو غَدٍ لَقَطَّعَ قلبى إثْرَهم حَسَرَاتِ[٤]

(١١) على بن الجَهْم[٥]

قال فى الفراق :

يا رَحْمتَا للغَريب بِالبَلَدِ النَّـازِح مَاذَا بِنَفْسِـهِ صَنَعَا[٦]
فَارَقَ أحْبَابَه فمـا انْتَفَعُوا بالعيش من بَعْده وَلَا انتفعَا[٧]

---

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقـل الى بغداد وأقام بهـا واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شىء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولمـا اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطقَ الْهوَى بجوًى هُوَ الْحَقُّ ... ومَلَكْتَنِى فَلْيَهنِكَ الرِّقُّ(١)
رِفْقًا بِقَلْبِى يَا مُعَذِّبَهُ ... رِفقاً وليسَ لظالمٍ رِفقُ
وإذا رأيتُكَ لا تُكلِّمُنِى ... ضاقَتْ عَلَىَّ الأرضُ والأُفْقُ(٢)

وقال :

اعلَمِى يا أحبَّ شىءٍ إليَّا ... أنَّ شَوْقِى إليكِ قاضٍ علَيَّا
إنْ قضَى اللهُ لى رُجُوعاً إليكُمْ ... لا ذَكَرْتُ الفِراقَ ما دُمْتُ حيًّا
إنَّ حرَّ الفِراقِ أنحلَ جِسْمِى ... وكَوَى القلْبَ مِنِّى الشَّوْقُ كيَّا

وقال :

لأَكْتُمَنَّ الذى فى القلبِ من حُرَقٍ ... حتى أَمُوتَ ولم يَعْلَمْ بهِ النَّاسُ
وَلا يُقال شَكَا مَن كانَ يَعْشَقُهُ ... إنَّ الشَّكاةَ لِمَنْ تَهوَى هِىَ اليَاسُ(٣)
وَلا أَبُوحُ بشَىءٍ كُنتُ أكْتُمُهُ ... عِنْدَ الجُلُوس إذَا مادَارَتِ الكاسُ(٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لم تَنْظُرْ إلى حَسَنٍ ... والنَّفْسُ بَعْدَكَ لم تَسْكُنْ إلى سَكَنٍ(٥)
كأنَّ نَفْسى إذا ما غِبْتَ غَائِبَةٌ ... حَتى إذا عُدْتَ لى عادَتْ إلى بَدَنِى(٦)

---

(١) الجوى : شدة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنىء معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : مايرى من جانب السماء ماسا الأرض .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول : انه لايبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلاسه اذا شربوا الخمر بزعم أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والدال : الجسم .

وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

أقِلْني أقَالَكَ مَن لم يَزَلْ   يَقيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى(١)

وَيَغْذُوكَ بالنِّعَمِ السَّابغَاتِ   وَليداً وذا مَيْعَةٍ أمْرَدَا(٢)

وَتَجْرِى مَقادِيرُهُ بالذِى   تُحِبُّ إلى أن بَلَغْتَ المدَى(٣)

وَيُعْليكَ حتى لوَانَّ السَّماءَ   تُنَالُ لجاوَزْتَها مُصْعِدَا(٤)

فَشُكراً لأنْعُمِهِ إنَّهُ   إذا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا(٥)

وعفوَكَ عن مُذنبٍ خاضعٍ   قَرَنْتَ المُقيمَ به المُقْعِدَا(٦)

إذا ادَّرَعَ اللَّيْلَ أفْضَى به   إلى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أنْ يرْقُدَا(٧)

عفَا اللهُ عنكَ ألا حُرْمَةٌ   تعُوذُ بفضْلكَ أنْ أبْعَدَا(٨)

---

(١) أقاله : صفح عنه . والردى الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه اياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات . وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذى لم تنبت لحيته . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صار فتى .

(٣) المدى : الغاية . وفى هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : ان المقادير ما زالت تجرى بكل مايحب حتى وصل الى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل اليها . ويقال أصعد فى الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى أعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر فى عجز البيت يلمح الى قول الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذى يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه . وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عياذا ومعاذا بفتح الميم : لجأ اليه .

لَئِن جَلَّ ذَنْبٌ ولم أعتَمِدْ   لَأَنْتَ أَجلُّ وأَعْلى يَدَا(١)
أَلَمْ تَرَ عَبْداً عَدَا طَوْرَهُ   وَمَوْلًى عفَا ورَشِيداً هدَى(٢)
ومُفْسِدَ أَمْرٍ تَلَافَيْتَهُ   فعَادَ فأَصْلَحَ ما أَفْسَدَا(٣)
فلاَ عُدْت أَعْصيكَ فيما أَمَرْ   تَ حتى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا(٤)
وإلاَّ فَخَالَفتُ رَبَّ السَّماءِ   وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفتُ النَّدَى(٥)

وقال يذم مغنياً :

كُنتُ فى مجْلِسٍ فقَالَ مُغَنِّى الْـ   ـقومِ كم بيْنَنا وبين الشِّتَاءِ
فَذَرَعْتُ البسَاطَ منِّى إليه   قُلتُ هذا المقْدَارُ قبلَ الغنَاءِ(٦)
فإذَ مَا عزَمْتَ أَنْ تَتَغنَّى   آذَنَ الحرُّ كلُّه بانقْضَاءِ(٧)

---

(١) لم أعتمد : لم أعتمده ، أى لم أقصده . واليد المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد أنه سيقيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشىء يعافه : كرهه فتركه . يقول : انه بعد هذا العهد اذا خرج عن طاعة الخليفة فقد عصى الله وخان الصديق وبرىء من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذرعه من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى لبرودة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول : انه اذا غنى فقد ولى الصيف وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاك[١]

قال :

أَيُّ دِيبَاجَةِ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِي[٢]
إِذْ رَمَانِي القَمَرُ الزَّا هِرُ عَنْ فَتْرَةِ جَفْنِ[٣]
بِأَبِي شَمْسُ نَهَارٍ بَرَزَتْ فِي يَوْمِ دَجْنِ[٤]
قَرَّبَتْنِي بِالْمُنَى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَفَتْنِي[٥]
تَرَكَتْنِي بَيْنَ مِيعَادٍ وَخُلْفٍ وَتَجَنِّي[٦]
مَا أَرَى فِيَّ مِنَ الصَّبْوَةِ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّي[٧]
إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الغَدْرِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي[٨]
أَسْتَعِيذُ اللهَ مِنْ إِعْرَاضِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّي[٩]

---

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل الى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الأمين ، ثم عاد الى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفى سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة اجادة الخمريات والمديح فى أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب فى عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى ادخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما يفعله فى دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع فى الشباب الا رجاء فى حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء فى هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وجْهِكَ حَتى ... خلْتُ أَنى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَا كَا(١)
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الغَـ ... ـضُّ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَا كَا(٢)
خُـدَعٌ لِلْمُنَى تُعَلِّلُنِى فِيـ ... ـكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَا كَا(٣)
لأُدُومَنَّ يا حبيبى عَلَى الْعَهْـ ... ـدِ لهـذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَيَا كَا(٤)

وقال :

إِذَا خُنْتُمُ بالغَيْبِ وُدِّى فما لَكُمْ ... تُدِلونَ إِدْلَالَ الْمُقيم عَلَى العَهْدِ(٥)
وَلِى مِنْكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنى مُذَمَّمًا ... وإِنْ خِلْتَ أَنى لَيْسَ لى مِنْكَ مِن بُدِّ(٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الإِمَامِ أَشَـدُّ مِن أَدَبِهْ ... وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُذْتُ مِنْ غَضَبِهْ(٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِماً بِمُعْتَصِمٍ ... أَثْنَى الإِلٰهُ عليهِ فِى كُتُبِهْ(٨)

---

(١) يقول : ان البدر ليشبهك حتى اننى اذ رأيته حسبت أننى رأيتك مع أننى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : اشارة الى البدر فى البيت الأول. وذاك اشرة الى النرجس فى البيت الثانى .

(٤) حكياك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : ان الثابت على العهد قد يكون له الحق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والمذمم : المذموم . يقول : اننى مستطيع أن اتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وان حسبت أننى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والامام : الخليفة . يقول : ان من غضب الخليفة أشد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشىء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة الا اليه ولا يعوذ منه الا به. وفى هذا مافيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِى لَمْ يُبْقِ لِى سَبَبَاً أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِه(١)
مَالِى شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ ولكلٍّ من أَشْفَى عَلَى عَطَبِه(٢)

(١٣) ابن الرومى(٣)

قال يهجو خالداً القحطبي :

أخالدُ ما أغراكَ بى من عداوة ولا تِرةٍ لولا الشقاء المُقدَّرُ(٤)
حداكَ إلىّ الحَيْنُ حتى استثرتنى عليكَ ، وإنى فى عَرِينى لمُخدِرُ(٥)
فدونكَ ما حاولتَه فبلغتَهُ ورَدْتَ ، ولكنْ لا إخالُك تصدُرُ(٦)
فقد كنتَ نِسْياً لا تُمَسُّ ولا تُرَى زمناً طويلًا ، فاصبر الآن تُذكَرُ(٧)

---

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لاسبيل الى النجاة من غضب الخليفة سوىعفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة الا حقه عليه بحكم الولاء له. وكذلك الشأن فى كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن على بن العباس الرومى ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليونانىوبالثقافة العربيــة كذلك فكان شعره صورة طريفة فى الأدب العربى من حيث الابتكار والتنسيق المنطقى والاستقصاء فى أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ؛ وخاصة ـ الوصف والهجاء ـ مات سنة ٣٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا اخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتروِى رُواة الشعرِ فيك قصائدا ‏ يُغنَّى بها ، ما نُودِىَ : الله أكبرُ (١)
سَداهَا مخازيك التى قد علمتَها ‏ ولُحمتُها مِنّى الكلامُ المحبَّرُ (٢)
وإن كنتُ لا أهجوكَ إلا كحالم ‏ يَرى ما يَراهُ النائمون فيهجُرُ (٣)

وقال :

أأيامَ لَهْوى هل مَواضيكِ عُوَّدُ ‏ وهل لشبابٍ ضَلَّ بالأمس مَنْشَدُ ؟ (٤)
أقولُ وقد شابت شَواتى ، وقُوِّسَت ‏ قنَاتى ، وأضحتْ كِدْنَتى تتمدَّدُ (٥)
ولذَّتْ أحاديثى الرجالَ ، وأعرضَت ‏ سُليمى ورَيَّا عن حديثى ومَهْدَدُ (٦)
وبُدِّلَ إعجابُ الغَوانِى تَعَجُّباً ، ‏ فهُنَّ رَوانٍ يعتَبِرْنَ وصُدَّدُ (٧)
لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صُروفها ‏ يكونُ بُكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ (٨)
وإلا فما يُبكيهِ منها ، وإنها ‏ لأفسحُ مما كان فيه وأرغَدُ ؟ (٩)

---

(١) ما نودى الخ : أى دائما ما دام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا.الكلام المحبر :المحسن .

(٣) يقول : أنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو الا كحالم لا وجود لك . يهجر يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شاب شعرها والقناة هنا صلبه .الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثى تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الاعجاببالشيء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والانكار .روان دائماتالنظربسكون الطرف . صدد معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لدينهن فهن ينظرن الى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أبصر الدُّنيا استَهلَّ كأنه ... بما سوف يَلقى من أذاها يُهَدَّدُ(١)
وللنفس أحوال تَظلُّ كأنها ... تُشاهِدُ فيها كلَّ غيب سيُشْهَدُ(٢)

وقال يرثي ابنه محمدًا .

بُكاؤُكُما يَشْفِي وَإِنْ كانَ لا يُجْدِي ... فَجُودا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُما عِنْدِي(٣)
أَلا قاتَلَ اللهُ الْمَنايا وَرَمْيَها ... مِنَ الْقَوْمِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدِ
تَوَخَّى حِمامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلَّهِ كيفَ اُخْتارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ(٤)
على حِينَ شِمتُ الخَيْرَ مِنْ لَمَحاتِهِ ... وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ(٥)
طَواهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزارُهُ ... بَعيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ(٦)
لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا ... وأَخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدُ المَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
أَلَحَّ عليه النَّزْفُ حتى أَحالَهُ ... إلى صُفْرَةِ الجادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ(٧)
وظلَّ على الْأَيْدِي تَساقَطُ نَفْسُه ... وَيَذْوِي كما يَذْوِي القَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ(٨)

---

(١) استهل الصبى : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيدا لحسن تعليله اذ يقول ان النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : ان النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .

(٨)الرند : الغار . وقد يسمى به الآس وهو نوع من الريحان .

فَيالكِ مِنْ نَفْسٍ تَساقَطُ أَنْفُسًا تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلاَ عِقدِ
عجبتُ لقَلْبِى كَيْفَ لَمْ يَنفَطِرْ لَهُ ولَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الحجَرِ الصَّلْدِ
وأَسَرَّنِى أَنْ بِعْتُهُ بِثَوابِهِ ولَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فى جنَّةِ الْخُلْدِ
ولا بِعْتُهُ طَوْعًا ولَكِنْ غُصِبْتُهُ ولَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحوَادِثِ مِنْ مُعْدِ (١)
وإِنِّى وإِنْ مُتِّعْتُ بِأَبْنَىَّ بَعْدَهُ لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النِّيبُ فى نَجْدِ (٢)
وأَوْلادُنَا مِثْلُ الْجوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدْنَاهُ كانَ الْفَاجِعُ الْبَيِّنَ الْفَقْدِ (٣)
لِكُلٍّ مَكانٌ لا يَسُدُّ اخْتِلاَلَهُ مَكانُ أَخِيهِ من جَزُوعٍ وَلاَ جَلْدِ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِى مَكانَه أَمِ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِى كما تَهْدِى
لَعَمْرِى لَقَدْ حَالَتْ بِىَ الْحَالُ بَعْدَهُ فيَالَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِى
ثَكِلْتُ سُرُورِى كلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ وأَصْبَحْتُ فى لَذَّاتِ عَيْشِى أَخَا زُهْدِ
أَرَيْحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالأَنْفِ وَالْحَشَا أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِى
سأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ وَإِنْ كانَتِ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لاَ تُجْدِى (٤)
أعينَىَّ جُودَا لِى فقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بأنفسَ مِمَّا تُسْأَلاَنِ من الرِّفْدِ (٥)
كأَنِّىَ ما استمتَعْت مِنْكَ بِضمةٍ ولا شَمَّةٍ فى مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدِ
أُلاَمُ لِمَا أُبْدِى عَلَيْكَ مِنَ الأَسَى وإِنِّى لأُخْفِى مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِى
محمدُ ما شَىْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً لِقَلْبِى إلا زَادَ قَلْبِى مِنَ الْوَجْدِ

---

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأغاث . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٣) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا يَكُونَانِ للأَحْزَانِ أَوْرَى منَ الزَّنْدِ
إذا لعبا فى مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعَا فُؤَادِى بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
فَمَا فِيهِمَا لِى سَلوةٌ ، بل حَزَازَةٌ يَهِيجَانِهَا دُونى وأَشْقَى بِهَا وَحْدِى
وَأَنتَ وإنْ أُفْرِدْتَ فى دار وَحْشَةٍ فإِنِّى بدَارِ الأُنْس فى وَحْشَةِ الْفَردِ
عليك سلامُ اللهِ منى تحيةً ومنْ كلِّ غَيْثٍ صادِقِ الْبَرْق وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التَّوَّزِى الشِّطْرَنْجِى وَيَمْدَحُه :

يَا أَخِى أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الإِخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
كَشَفَتْ مِنْكَ حَاجَتِى هَنَوَاتٍ غُطِّيَتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللقَاءِ(١)
تَرَكَتْنِى وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أَسِيئُ الظُّنُونَ بالأَصْدقاءِ
يَا أَخِى هَبكَ لَم تَهَبْ لى مِن سَعْيِكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخَلاءِ
أَوَلا كَانَ مِنْكَ ردٌّ جميلٌ فِيهِ لِلنفْس رَاحَةٌ مِن عَنَاءِ
أَجزَاءُ الصَّدِيقِ إيطَاؤُهُ الْعُشْوَةَ حَتَّى يَظَلَّ كالْعَشْوَاءِ(٢)
تَارِكًا سَعْيَهُ اتِّكَالاً عَلَى سَعْيِكَ دُونَ الصِّحابِ وَالشُّفَعَاءِ
كالَّذِى غرَّه السَّرَابُ بِمَا خَيَّلَ حَتَّى هَرَاقَ مَا فِى السِّقَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِى كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَهْرِى قَطَعْتَ مَتن الرَّجَاءِ
لَا أُجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّاىَ غُرُوراً وُقِيتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهى من الشىء الصغير . يقول ان طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقائك اياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطأه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا ... لَكَ لِبُخْلٍ عَلَيْكَ بِالْإِغْضَاءِ
أَنْتَ عَيْنِى وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِى ... غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْذَاءِ
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الْأَمْرِ ... يَحُلُّ الْفَتَى ذُرَا الْعَلْيَاءِ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخِلَّاءِ سَمْحًا ... وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ الْعَطَاءِ
فَغَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْنِ ... وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ(١)
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ ... تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

* * *

رُبَّمَا هَالَنِى وَحَيَّرَ عَقْلِى ... أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ(٢)
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبْعِ ... وَأَدْنَى رِضَاكَ فِى الْإِرْبَاءِ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاةِ مِنْكَ وَإِعْصَا ... فُكَ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
عَنْ تَدَابِيرِكَ اللِّطَافِ اللَّوَاتِى ... هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِرِّ الْهَبَاءِ
بَلْ مِنَ السِّرِّ فِى ضَمِيرِ مُحِبٍّ ... أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ
فَإِخَالُ الَّذِى تُدِيرُ عَلَى الْقَوْمِ ... حُرُوبًا دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
وَأَظُنُّ افْتِرَاسَكَ الْقِرْنَ فَالْقِرْنَ ... مَنَايَا وَشِيكَةَ الْإِرْدَاءِ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحْمَرِ ... أَرْضًا عَلَّلْتَهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشِّطْرَنْجِ ... لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِى الْقَوْمِ أَخْفَى ... مِنْ دَبِيبِ الْغِنَاءِ فِى الْأَعْضَاءِ

---

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرآى ولا يثمر شيئا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبىالقاسم فى اجادةلعب الشطرنج وقد قيل انه كان يجيد اللعب ويغلب ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع كما سيذكره فى القصيدة .

أَوْ مسيرِ الْقَضَاءِ فى ظُلَمِ الْغَيْـ ب إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ(١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ منَ الرُّقْـ عَةِ طِبًّا بِالْقِتْلَةَ النَّكْرَاءِ(٢)
غَيْرَ مَا نَاظِرٍ بِعَيْنَيْكَ فى الدَّسْـ تِ وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسَلَاءِ(٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرَ الظَّهْـ رِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُوَلِّى وَهْوَ يُرْدِى فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِىُّ لِلْمُطْرِقِ الْمُعْـ رِضِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِراً فَتُؤَدِّيـ ـهِ جَمِيعاً كَأَحْفَظِ الْقُرَّاءِ
وَتَلَقَّى الصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَا لِكَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ(٤)
فَتَرَى أَن بُلْغَةً مَعَهَا الرَّا حَةُ خَيْرٌ مِن ثَرْوَةٍ فى شَقَاءِ
وقَدِيماً رَغِبْتَ عَنْ كلِّ مَصْحُو بٍ مِنَ الْمُتْرَفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التِّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرِّبْـ حِ وَمَا فى مِرَاسِهَا من جَدَاءِ(٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عِيشَةٍ بِنُضُولٍ دُونَهُ خُبْثُ عِيشَةٍ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النفْس والمهانَةُ والذِّلَّـ ـةُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ(٦)

---

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك فى النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته فى لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذاك ما سوى اللعب .

(٥) مافى مراسها من جداء : اى مافى مزاولتها من غنى وثراة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبث عيشة فى البيت قبله .

بل أطعتَ النُّهى فَفُزْتَ بحَظٍّ قَصَّرَتْ عَنهُ فِطْنَةُ الأَغنياءِ
رَاحَةِ النَّفْسُ والصِّيَانَةِ وَالْعِفَّـ ـةِ وَالأَمْن فِي حَيَـاءٍ رُواء(١)
عالِمـاً بالَّذِى أَخَذْتَ وَأَعْطَيْـ ـتَ حَكِيماً فِي الأَخْذِ وَالإِعْطَاءِ
جِهْبِـذُ الْعَقْل لَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مِثْلُهُ فَاتَ أَعْيُنَ الْبُصَرَاءِ
قَائِلاً لِلْمُشِـيرِ بِالْـكَدْح مَهْلاً مَا اجْتِهَادُ اللَّبِيبِ بَعْدَ اكْتِفَاءِ
قَرَّبَ الحِرْصُ مَرْكَباً لِشَقِيٍّ إِنَّمَا الحِرْصُ مَرْكَبُ الأَشْـقِيَاءِ
مَرْحَباً بِالْـكَفَافِ يَأْتِي هَنِيئاً وَعَلَى الْمُتْعِبَاتِ ذَيْلُ الْعَفَاءِ
ضَـلَّةً لِامْرِئٍ يُشَمِّرُ فِي الجَمْـ ـعِ لِعَيْشٍ مُشَمِّرٍ لِلْفَنَاءِ
دَائِباً يَـكْنِزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْوَا رِثِ وَالْعُمْرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَاءِ
حَبَّـذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا نَتْ لِرَبِّ الْـكُنُوزِ كَنْزَ بَقَاءِ
يَحْسَبُ الحَظَّ كُـلَّهُ فِي يَدَيْهِ وَهْوَ مِنْـهُ عَلَى مَدَى الجَوْزَاءِ
لَيْسَ فِي آجِـلِ النَّعِيمِ لَهُ حَـ ـظٌّ وَمَا ذَاقَ عَاجِلَ النَّعْمَاءِ
ذلك الخَائِبُ الشَّقِيُّ وإِنْ كَا نَ يُرَى أَنَّهُ مِنْ السُّعَدَاءِ
حَسْبُ ذى إِرْبَةٍ ورأْى جَلِيٍّ نَظَرَتْ عَيْنُه بِـلَا غُلَوَاءِ(٢)
صِحَّةُ الدِّينِ وَالجَوَارِحِ وَالعِرْ ضِ وَإِحْرَازُ مُسْكَةِ الحَوْبَاءِ(٣)
تلك خيرٌ لعَارِفِ الخَيْرِ مِمَّا يَجْمَعُ النَّاسُ مِنْ فُضُولِ الثَّرَاءِ

---

(١) راحة النفس : بدل من حظ فى البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الاربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب فى البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ المنغَّص عَيْشٌ إِنما عيش عَائِشٍ بِالْهَنَاءِ
يا أبا القاسِمِ الَّذى لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الأشْيَاءِ
ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّى صَدِيقٌ رُبَّمَا عَزَّ مِثْلُهُ بِالبَلَاءِ
لا لعَمْرُ الإِله لَكِنْ تَعَاشَيْـ ـتَ بَصِيراً فِى لَيْلَةٍ قَمْرَاءِ(١)
ظالِماً لِى مَعَ الزَّمَانِ الَّذِى ابْتَـ ـزَّ حُقُوقَ الكِرَامِ لِلُّؤَمَاءِ
ثَقُلَتْ حَاجَتِى إِلَيْكَ فَأَضْحَتْ وَهْيَ عِبءٌ من فَادِحِ الْأَعْبَاءِ
فَتَوَانَيْتَ والتَّوَانِى وَطِىءُ الظَّـ ـهْرِ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الوِطَاءِ(٢)
كُنْتَ مِمَّنْ يَرَى التَّشَيُّعَ لَكِنْ مِلْتَ فِى حَاجَتِى إِلَى الْأَرْجَاءِ(٣)
ظُلِمَتْ حَاجَتِى فَلاذَتْ بِحِقْوَيْـ ـكَ فَأَسْلَمْتَهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ(٤)
وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّا سِ مِنِ الْأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ
غير أن الْيَقِينَ أَضْحَى مريضًا مَرَضاً بَاطِناً شَدِيدَ الْخَفَاءِ
ما وجدتُ امرأً يرَى أَنَّهُ يُو قِنُ إِلّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَو يَصِحُّ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّا غِبُ إِلّا إِلَى مَلِيكِ السَّمَاءِ
وعسيرٌ بُلوغُ هَاتِيكَ جدًّا تِلْكَ عُلْيَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

---

(١) ادعيت عدم الابصار .

(٢) الزنيم : الدعى واللئيم . وزنيم الوطاء : لئيم الموطىء .

(٣) التشيع : مذهب دينى يرى تفضيل على على سائر الصحابة والارجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشىء فى الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم طلبت منك مطلبا وقفت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقوا : الكشح . ولاذت بحقويه : التجأت اليه .

وعزيزٌ عليك عَضِّـــيك باللَّوْ ـمِ وَلَـكِنَّ أصبْتَ صَدْرِى بداء
أَنْتَ أَدْوَيْتَ صَدْرَ خِلِّكَ فَاعْذِرْ هُ على النَّفْثِ إنَّهُ كَالدَّوَاء
قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَةً مِنْ عِتَابٍ وَجَميـلٌ تعاتُبُ الْأَكْفَاء
وَالَّذِى أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَـاتَبْـتُكَ عَـــدِّيكَ أَوَّلَ الفهمَاء
وَأَنَا الْمَـرْءُ لَا أَسُوم عتَـابى صَاحِبًـا غيرَ صَفْوَةِ الْأَصْفياء
ذا الحِجَا مِنْهُمُ وذا الحِلْم وَالْعِلْـمِ وَجَهْلٌ مَلَامَةُ الْجُهَـلَاء
إِنَّ مَنْ لَامَ جَاهِـلًا لطَبِيبٌ يَتَعَاطَى عِـــلَاجَ دَاءٍ عَيَـاء

وقال يصف العنب الرَّازقى(١) :

وَرَازِقِيٍّ مُخْطَفِ الْخُصُـــورِ كَـأَنَّهُ مَخَـازِنُ الْبَـلورِ(٢)
قَدْ ضُمِّنَتْ مِسْـكًا إِلَى الشطُورِ وَفِى الْأَعَالِى ماءُ وَرْدٍ جُورِى(٣)
لَمْ يُبْـقِ مِنْهُ وَهَجُ الحَرُورِ إِلَّا ضِيَـاءً فِى ظُرُوفِ نُورِ(٤)
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُـــورِ قَرَّطَ آذَانَ الحِسَانِ الحُورِ
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَـلِ المَشُورِ وَنَـكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْـكَافُورِ
بَاكَرْتُهُ وَالطَّيْرُ فِى الْوُكُورِ وَعُذَرُ اللَّذَّاتِ فِى الْبُكُورِ(٥)
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أَمْلَأَ لِلْعَيْـنِ مِنَ الْبُدُورِ

---

(١) العنب الرازقى : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول مايظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)
ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ (٢)
أَبْيَضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصُلِ الْمَشْهُورِ (٣)
يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ (٤)
فَنِيلَتْ الْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
وَمُتْعَةً من مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٤) الْبُحْتُرِى (٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بالبرّ صُمْتَ وَأنت أفضلُ صائمٍ وَبسنَّة الله الرضيَّةِ تُفطِر
فانْعَمْ بيومِ الفِطر عيداً إنه يومٌ أغرُّ منَ الزمان مُشَهَّرُ
أظهرتَ عِزَّ الملكِ فيه بجحْفلٍ لَجِبٍ ! يُحاطُ الدينُ فيه وَيُنصَر (٦)

---

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة : والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف. يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطيء الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد مات سنة ٢٨٤ هـ. ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال واجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلنا الجبالَ تسير فيه وقد غدتْ ... عُدَدًا يسير بها العَديدُ الأكثر
فالخيل تَصهَلُ ، والفوارس تَدّعِى ، ... والبيض تلمعُ ، والأَسِنّةُ تَزْهَر (١)
والأرضُ خاشِعةٌ تَميدُ بِثقْلها ، ... والجو مُعتكِر الجوانب أغبَرُ (٢)
والشمس ماتِعَـةٌ توقَّدُ بالضُّحا ... طوراً ، ويُطفئها العجاجُ الأكْدَر (٣)
حتى طلعْتَ بضوْءِ وجهك فانجلتْ ... تلك الدُّجى وانجابَ ذاك العِثْيَرُ (٤)
وافتنَّ فيـك الناظِرون : فأصبعٌ ... يُومَى إليك بها ، وعينٌ تنظُر
يجدون رؤيتك التى فازوا بهـا ... مِن أنعُم اللهِ التى لا تُكْفَر
ذكرُوا بطلعَتِكَ النبىَّ ، فهلَّلوا ... لما طلَعْتَ من الصفوفِ ، وكَبَّروا
حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابسا ... نورَ الهدى ، يَبدُو عليك ويَظهر
ومشَيتَ مِشيةَ خاشِـع مُتواضع ... لله لا يُزهَى ، ولا يتكبَّر
فلو أنَّ مُشتاقا تـكلَّفَ فوق ما ... فى وُسعِه لَسَعَى إليكَ المِنبر

ومن قوله يصف الربيع :

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا ... من الحسن حتى كادَ أن يتكلَّما
وقد نبّه النيروزُ فى غَسقِ الدجى ... أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما (٥)

---

(١) البيض : السيوف . والأسنة : جمع سنان : نصل الرمح . تزهر : تضىء وتلمع .

(٢) تميد : تتحرك وتضطرب . والجو معتكر أى من ضخامة الجيش أو من غباره .

(٣) ماتعة : مرتفعة . والعجاج : الغبار . والأكدر : الشديد الكدرة وهى ضد الصفاء .

(٤) الدجى : جمع دجية : الظلمة . ويقصد ظلمة العثير الذى هو الغبار .

(٥) النيروزعند الفرس أول أيام السنة الشمسية . غسق الدجى : ظلمة الليل . والمعنى أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد .

يُفتِّقُهـا بردُ النـدَى فـكأنه يَبُثُّ حديثاً كان قبلُ مُـكَتَّما(١)
فمِن شجر ردّ الربيعُ لباسَهُ عليـه كما نشَّرْتَ وشْياً مُنَمْنَما(٢)
أَحَلَّ فأبْدَى للعُيون بَشاشةً وكان قَذًى للعين إذ كان مُحرِما(٣)
ورقَّ نسيمُ الريح حتى حسبتُه يجيء بأنفاس الأحِبَّة نُعَّما

وقال يمدح محمد بن على بن عيسى القُمِّى :

ذاكَ وَادِى الأراكِ فاحبِس قَلِيلا مُقْصِراً مِن صَبابةٍ أو مُطيلا(٤)
قِف مَشُوقًا ، أو مُسعِدًا ، أو حَزِينا أو مُعِيناً ، أو عاذِراً ، أو عَذُولا(٥)
إنَّ بينَ الـكَثيبِ فالجزْعِ فالآ رامِ ، رَبْعاً لِآلِ هِنْـد مُحيلا(٦)
أَبلَت الريحُ وَالرَّوائِحُ وَالأيَّـ امُ منـهُ مَعَالِما وَطُـلُولا(٧)
وَخِلافُ الجميلِ قَوْلُكَ لِلـذِّا كِرِ عهدَ الأحبابِ : صَبْراً جَميلا

---

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . منمنم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس الثيـاب ، والاحرام التجرد من الخيط . والقذى : ما يقع فى العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبن ونحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة. واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلا . والصبابة : الشـوق والولع الشـديد ، يطلب الى صاحبـه الوقوف بديار الأحبـة وفاء لأهلها الراحلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب اذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك اذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محـارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيىء وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى من السحابة التى تجىءعشيا أو الماطرة . والمعالم. مايستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلُمْهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمْـ ـعِ ، وَلُؤْمٌ لَوْمُ الخليلِ الخليلا
عِلَّ ماءَ الدُّموعِ يُخمِدُ نارًا مِن جَوَى الحُبِّ أَوَ يَبُلُّ غَليلا(١)
وَبكاءُ الدِّيارِ مما يَرُدُّ الـ ـشَّوْقَ ذِكْرًا وَالحُبَّ نِضْوًا ضَئيلا(٢)
لم يَكُنْ يَوْمُنَا طَويلًا بِنَعما نَ ، وَلَـٰكِن كانَ البُكاءُ طَوِيلا
قَدْ وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ غَايَةَ المَجدِ قَائِلًا وَفَعُولا
وَلَقِينا شَمائِلا تَنْثُرُ المِسْـ ـكَ سَحيقاً كما لَقِينا الشَّمولا(٣)
وَرَأَينا سِيماً نَدًى وَسَماحٍ لم نُرِدْ بعدَها عليهِ دَليلا
أَشْعَرِيٌّ ، كَفاهُ عِيسى بنُ موسى شَرَفاً بَاتَ لِلسِّماكِ رَسِيلا(٤)
خَلَّفَ البُهْرَ لِلجيادِ ، وَأَلْقَى فى مدَى المجدِ ، غُرَّةً ، وَحُجولا(٥)
وَبَنُو الأَشْعرِ الذى مَلَأَ الأَرْ ضَ رِجالا ، وَنَجْدَةً ، وَخُيولا
شَوكَةٌ ما أَصَابَتِ الدهْرَ إِلَّا تَرَكَتْ فى الغِرارِ منهُ فُلولا(٦)

---

(١) الغليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضى فقط . والنضو : النحيل المتعب ؛ يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف لوعته .

(٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعرى : منسوب الى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والغادى الرامح . ورسيلا : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الاعياء . والجياد : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، ومن كل شىء أوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهو البيض فى رجل الفرس ، يريد أنه لايكل ولكنه وصل الى غاية المجد بكريم أفعاله التى تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها .

(٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حده . والفلول : جمع فل وهو الثلمة فى حد السيف . يقول : ان صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ المكرماتِ طُولا وَعَرْضاً وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرْضًا وَطُولا(١)
رَادَةُ الحمد أَوَّلا وَأَخيراً وَأُولُو المجدِ وَاحِدا وَقَبِيلا(٢)
وَكَأَنَّ الأصولَ كانت فُرُوعاً وَكَأَنَّ الفروعَ كَانَتْ أُصُولا(٣)
وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدْنَ فِى الخطْـ ب توَهَّمْتَ فِى النُّجوم أُفولا(٤)
وَمُحِبُّونَ للنَّبى وَأهلِ الـ ـبَيتِ حُبًّا يُرضُون فيهِ الرسولا
سَلَبُوا البيضَ بزَّهَا وَأقاموا بِظُبَاهَا التأويلَ وَالتّنزيلا(٥)
تَحْسَبُ الشَّيبَ فى الْوَقيعةِ شُبَّا نًا إِذَا صافَحُوا الصفيحَ الصَّقِيلا
فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزيزاً وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَليلا(٦)
وَإِذَا عِزُّ مَعشَرٍ زَال يَوْماً مَنَعَ السيفُ عِزَّهُمْ أن يَزولا
يا أبَا جعفرٍ ، لَقَدْ رَاحَ إفضا لُكَ خَطْباً عَلَى الكِرَامِ جَلِيلا(٧)
رَدَّ مَعروفُكَ الكثيرَ قليلًا وَأرَى جُودُكَ الجوادَ بَخِيلا

---

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : انهم متساوون فى المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكأن الأبناء هم بانوه وكأن البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سموا ونفاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون فى الشدائد فيخفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والظبى : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد انهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أى هم فى الحروب ليوث وفى السلم يحمون الذليل ويكرمونه .

(٧) يقول : ان كرمك يضر الكرام لأن كرثة عطاياك العظيمة تزرى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل.

لا أَظُنُّ البُخَّالَ يُوفُونَكَ الشُّكْـ ـرَ ولو كانَ بُكرَةً وأَصِيلا
جَعَلَتْهُمْ مِن غَيْرِهِمْ دُفَعٌ مِنْـ ـكَ أفادَتْ حَمْداً وأَعطَتْ جَزِيلَا(١)
كَمْ لِجَدواكَ مِنْ مقَامٍ ، لَعَمرِي كانَ من رَيِّقٍ السحابِ بَدِيلًا !(٢)
عندَ وجْهٍ طَلْقٍ إِذَا ما تبَدَّى لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عادتْ سُهُولا
يَئِسَ الحاسدون منكَ وكانُوا أَسَفاً ينظُرون نَحوَكَ حُولَا(٣)
وَرَأَوْا أَنَّهُم إِذَا وَصَلوا تِلْـ ـكَ المساعِي بِالفِكر ذَابُوا نُحولا(٤)
فَثَنَوْا عَنكَ أَعْيُناً وقلوباً لم يَرُدُّوا إلا حَسِيراً كَلِيلا(٥)
وَكفانِي على الذى يوجَدُ الْفَضْـ ـلُ لديهِ بِالحاسِدِينَ دَليلا(٦)

---

(١) أى أن عطاياك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء الى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : أفضله وأوله ، أى أن عطاياك لها أثر فى النعمة والخير كأثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حولاء . والحول : ميل احدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصداع، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا انهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير فى ادراكها لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وَقال يمدح المتوكل :

لِي حبيبٌ قَدْ لَجَّ فى الهَجر جِدّا ... وَأعادَ الصدودَ منه وَأبْدَى(١)
ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كلِّ يَوْمٍ ... خُلُقاً من جفَائِهِ مُسْتَجِدّا
يتأبَّى مَنْعًا ، وَيُنْعِمُ إسْعَا ... فاً ، وَيَدنُو وَصْلاً ، وَيَبْعُدُ صَدّا(٢)
أَغْتَدِى رَاضِياً وَقد بِتُّ غضبا ... نَ ، وَأُمسِى مَولًى ، وأُصبحُ عَبدا(٣)
وَ بِنَفْسِى أَفدِى عَلَى كلِّ حَالٍ ... شَادِناً ، لو يُمَسُّ بِالحُسْنِ أعدى(٤)
مَرَّ بى خالياً فأطمَع فى الوَصْـ ... لِ وَعرَّضْتُ بالسلام فَرَدّا
وَثَنَى خَدَّه إلَىّ عَلَى خَو ... فٍ فَقَبَّلْتُ جُلَّنَاراً وَوَرْدَا(٥)
سَيّدى أنتَ ، ما تعَرَّضتُ ظُلماً ... فَأُجَازَى بِهِ ، وَلا خُنْتُ عهدا
رِقَّ لى من مدامع ليس ترْقا ... وَارْثِ لى من جَوانح ليس تَهْدا
أَتراني مُسْتبدِلاً بك ما عِشْـ ... تُ بَدِيلًا ، أَوْ وَاجِداً منك نِدّا(٦)
حاشَ للهِ ؛ أنتَ أفتَنُ ألحا ... ظاً وَأَحلَى شَكلاً ، وَأَحسنُ قَدّا(٧)
خَلَقَ اللهُ جعفَراً قيِّمَ الدُّنـ ... ـيا سَدَاداً ، وَقَيِّمَ الدِّين رُشْدًا(٨)

---

(١) لج فى الهجر: تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والاسعاف المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا فى بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الظبية تشبه بهالفتاة الظريفة ، ثم يقول:لو مسه أحدنالته منهعدوى الحسن

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أَكرمَ الناس شِيمةً وَأَتمَّ النَّـ ـاسِ خُلُقاً، وَأَكثرَ الناس رِفْدا(١)
مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمتُهُ المُلْـ ـكَ؛ فأضحتْ لَهُ مُغاثاً وَرِدًّا(٢)
أَظهرَ العدلَ، فاستنارتْ بِهِ الأر ضُ، وَعَمَّ البلادَ غَوْرًا وَنَجْدا(٣)
وحكَى القَطرَ بل أَبَرَّ على القَطْـ ـرِ بِكفٍّ على البَرِيَّةِ تَنْدَى(٤)
هُوَ بحر السماح، والجودِ؛ فازدَدْ منه قُربا تَزدَدْ من الفقرِ بُعدا
يا ثِمالَ الدُّنْيا عَطاءً وَبَذْلاً وَجَمالَ الدنيا ثناءً وَمَجدًا(٥)
وشَبيهَ النَّبيِّ خُلْقًا وخَلْقًا ونسيبَ النَّبي جَدًّا فَجَدًّا
بِكَ نَسْتَعتِبُ الليالى وَنَسْتَعْـ ـدِى عَلَى دَهرِنا المسِيءِ فَنُعْدَى(٦)
فابقَ عُمرَ الزمان حتى نُؤَدِّى شُكرَ إحسانِكَ الذى لا يُؤَدَّى

وقال يصفُ الذئبَ حين لَقِيه :

سلامٌ عليكم، لا وَفاءٌ، وَلا عهد أَمَا لَكُمُ مِن هَجرِ أَحْبابِكُمْ بُدُّ؟
أَأَحْبابَنَا قد أَنجزَ البينُ وَعْدَهُ وَشِيكاً، ولم يُنْجَزْ لنا منكمُ وَعْدُ!(٧)

---

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرفد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر وأطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) *القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .*

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبى (الرضا) أو نعطيها العتبى ونسترضيها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أأطلالَ دَارِ العـامِرِيَّةِ باللِّـوَى سَقَتْ رَيْعَكِ الأَنْوَاءُ! مافَعَلَتْ هِندُ؟(١)
أدارَ اللِّـوى بينَ الشقيقةِ فالْحِمَى أَمَا لِلنَّوى إلاَّ رسيسَ الهوَى قَصْدُ؟!(٢)
بِنَفْسِيَ مَنْ عَذَّبْتُ نَفسى بحُبِّهِ وإنْ لَمْ يَكُن منهُ وِصَالٌ ولا وُدُّ
حَبيبٌ، عَنِ الأحبابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوى وَأَىُّ حبيبٍ ما أتَى دونَهُ البُعْدُ ؟
إِذَا جُزْتُ صَحـراءَ الغُوَيْرِ مُغَرِّباً وَجَازَتْكَ بطحاءُ السواجِيرِ يا سَعدُ(٣)
فَقُل لِبَـنِى الضَّحاكِ مَهلاً ؛ فإِنَّنى أَنَا الأَفْعُوَانُ الصِّلُّ، والضَّيغَمُ الْوَرْدُ(٤)
بَـنِى ناهلٍ مَهلا ؛ فإِنَّ ابنَ أُخْتِـكُمْ لَهُ عزَمَاتٌ هَزْلُ آرَائِها جِدُّ(٥)
مَـتَى هِجْتُموهُ لا تَهيجُوا سِوَى الرَّدَى وإن كانَ خرقاً ما يُحلُّ له عَقْـدُ(٦)
مَهِيبٌ كَنَصلِ السيفِ لو ضُرِبَتْ بهِ ذُرا أجإٍ ظَلّتْ وأعلامُها وَهْدُ(٧)
يَوَدُّ رِجالٌ أَنّنى كنتُ بعضَ مَنْ طوَتْهُ الليالِى لا أَرُوحُ وَلا أغدُو(٨)
وَلولَا احتمالى ثِقْـلِ كلِّ مُلِمَّةٍ تَسوءُ الأعادى ، لم يَوَدُّوا الذى وَدُّوا

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبنى كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . الضيغم : الأسد والورد : الشجاع الجرىء من الأسود .

(٥) أضعف هممه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لايرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ وسلمى : هما جبلاطيىء المشهورين فى الشمال من جزيرة العرب. وذراه :أعاليه وأعلامها أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالى : هلك .

ذَرِينى وَإِيَّاهم فَحَسْبى صَرَامَتى إِذَا الحَرْبُ لم يُقْدح لمخمِدِهَا زَنْدُ(١)

وَلى صَاحِبٌ عَضْبُ المضارِبِ صَارِمٌ طَوِيلُ نِجادٍ ، ما يُفَلُّ لَهُ حَدُّ(٢)

وَبَاكِيَةٍ تَشْكو الفِراقَ بِأدمُعٍ يُبادِرْنَها سحًّا كما انتَثرَ العِقدُ

رَشَادَكِ ، لَا يُحزِنْكِ بَيْنُ ابْنِ هِمَّةٍ يَتُوقُ إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ(٣)

فمن كانَ حُرًّا فهو لِلعَزْمِ وَالسُّرَى وَلِلَّيْلِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالكَرَى عبدُ(٤)

وَليلٍ كَأَنَّ الصبحَ فى أُخْرَيَاتِهِ حُشَاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إِفرِندَهُ غِمدُ(٥)

تَسَربَلتُهُ وَالذئبُ وَسْنَانُ هاجِعٌ بِعَينِ ابْنِ ليلٍ ، مَالَهُ بالكَرَى عَهدُ(٦)

أُثيرُ القَطَا الكُدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ وَتأْلَفُنِى فيه الثَّعالِبُ وَالرُّبْدُ(٧)

وَأطلسَ مِلءِ العينِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعَهُ من جَانبَيْه شَوًى نَهْدُ(٨)

لَهُ ذَنَبٌ مثلُ الرِّشَاءِ يَجُرُّهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ القوسِ أعْوَجُ مُنْأَدُّ(٩)

---

(١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد فى اخمادها .

(٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع . والنجاد : حمائل السيف ، كناية عن طول قامته.

(٣) رشادك قلت لها : الزمى رشادك . والند : المثل والنظير .

(٤) عبد خبر فهو .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرند السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد الا نصلا .

(٦) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .

(٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجاثمه ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .

(٨) وأطلس : ورب ذئب أطلس أى أغبر الى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم. والشوى : الأطراف مفرد فى لفظه جمع فى معناه . ونهد : بارز .

(٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومنأد : معوج .

طَوَاهُ الطَّوَى حتَّى استَمَرَّ مريرُه ... فَمَا فيهِ إلّا العَظْمُ وَالرُّوحُ وَالجِلْدُ(١)
يُقَضْقِضُ عُصْلًا فى أَسِرَّتِهَا الرَّدى ... كَقَضْقَضَةِ المقرُورِ أرعَده البَرْدُ(٢)
سَمَا لِى وَبِى من شِدَّةِ الجوعِ ما به ... بِبَيْدَاءَ لم تُعرَفْ بها عيشَةٌ رَغْدُ(٣)
كلانَا بِهَا ذئبٌ يُحَدِّثُ نَفسَهُ ... بِصَاحِبِهِ ، وَالجَدُّ يُتْعِسُه الجَدُّ
عوَى ثم أَقعَى فارْتَجَزْتُ فهِجتُه ... فأَقبَلَ مِثْلَ البَرْقِ يَتْبَعُه الرَّعْدُ(٤)
فأَوْجَرْتُه خَزْقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَها ... على كوكبٍ يَنقضُّ وَالليلُ مُسوَدُّ(٥)
فما ازدادَ إلّا جُرأةً وَصَرَامةً ... وَأيقنتُ أنَّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ
فَأَتبعتُها أُخرى فأضلَلْتُ نَصلَها ... بحيثُ يكونُ اللُّبُّ ، وَالرُّعبُ ، وَالحِقْدُ(٦)
فَخَرَّ وَقد أَوْرَدْتُهُ مَنْهَلَ الرَّدَى ... عَلَى ظَمَأٍ لو أَنَّهُ عَذُبَ الوِرْدُ
وَقُمْتُ فَجَمَّعْتُ الحَصى فاشْتَوَيْتُه ... عليه ، وَلِلرَّمضاءِ مِن تحتِه وَقْدُ(٧)
وَنِلْتُ خَسيساً مِنه ثُمَّ تركتُهُ ... وَأقلت عَنهُ وَهو مُنْعَفِرٌ فَرْدُ(٨)

---

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردى : الهلاك . والمقرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سمالى : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره . ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخزقاء : المرماة أو السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض اذ يقول : تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمَتْ فِينَا الليالى بجَوْرِها وَحُكْمُ بَناتِ الدهر ليسَ لهُ قَصْدُ(١)
أفى العَدْلِ أن يشقَى الكريمُ بجَوْرِها وَيأخذَ منْها صفوَها القُعدَدُ الوَغْدُ(٢)
ذَرِينِى مِنْ ضَرْبِ القِداحِ على السُّرى فعزمِى لا يَثنِيهِ نحْسٌ وَلا سَعدُ(٣)
سأحملُ نفسِى عندَ كلِّ مُلِمَّةٍ عَلَى مِثْلِ حدِّ السيفِ أخلصَهُ الهندُ(٤)
لِيعلَمَ منْ هابَ السُّرَى خَشْيَةَ الرَّدى بِأَنَّ قضَاءَ اللهِ ليس له ردُّ
فإن عِشتُ محموداً فمِثلى بغَى الغِنى لِيكْسِبَ مالا أوْ يُنَثَّ له حَمدُ(٥)
وَإنْ متُّ لم أظفَر، فليسَ على امرئٍ غَدَا طالباً إلاَّ تقَصِّيهِ وَالجهدُ(٦)

وَقال يمدح أبا نهشل :

هَاهُوَ الشَّيْبُ لاَئِمًا فَأَفِيقِى وَاترُكيهِ إن كانَ غيْرَ مُفيقِ(٧)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ المُعَنَّى وَتَلاَفَى من اشْتياقِ المَشُوقِ(٨)
عَذَلَتْنَا فى عِشْقها أُمُّ عَمْرو هل سَمِعتُم بِالعَاذِلِ المَعْشُوقِ

---

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعدد : الجبان أو اللئيم ، والوغد : الأحمق الدنىء .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أأسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها فى كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وان كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنينى هذا لقوة عزمى الذى لا يبالى سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسى على الشدائد اذا حزبت الأمور .

(٥) ينث : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية فى البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لائما : يلوم العاشق على التمادى فى العشق مع شيبه . والمفيق : الصاحى من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .

(٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

وَرأَت لِمَّةً أَلَمَّ بها الشَّيْـ ـبُ فَرِيعَتْ مِنْ ظُلمةٍ في شُرُوقِ (١)

وَلعَمْرِي لَوْلاَ الأَقاحِي لأبْصَرْ تَ أَنِيقَ الرِّياضِ غَيْرَ أَنِيقِ (٢)

وَسَوَادُ العيُونِ لَوْ لَمْ يُحَجَّر بِبَيَاضٍ ، ما كانَ بالمومُوقِ (٣)

وَمِزاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أَمْلَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ (٤)

أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغيرِي بُرُوقِ (٥)

وَقْفَةً في العَقِيقِ أطرحُ ثِقْلاً مِنْ دُموعِي بوَقْفَةٍ في العَقِيقِ (٦)

ماثِلٌ بَيْنَ أَرْبُعٍ ماثِلاتٍ يَنْزِعُ الشوقَ من فؤادٍ عَلُوقِ (٧)

أَزْجُرُ العيْنَ عَنْ بُكاهُنَّ والعيـ ـسُ إلى المُبْتَغى بِكلِّ طَرِيقِ (٨)

واسْتَشَفَّتْ مُحمدَ بنَ حُمَيدٍ ما سحيقٌ منَ الغِنى بسَحِيقِ (٩)

---

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت. ظلمة فى شروق : سواد شعر الشباب فى بياض المشيب .

(٢) الأقاحى : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أى لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب فى الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة فى بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفة مفعول لفعل محذوف تقديره أتمنى أوقف .

(٧) ماثل : قائم . يعنى نفسه . وأربع جمع ربع : الدار. وفؤاد علوق : شديد التعلق بأحبته.

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أى قصدته ، ومعنى الشطر الثانى أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعى اليه .

سَابِقُ النفعِ يَسْتَقِي جُهدَ نَفْسٍ   تُسْتَزَادُ اُسْتِزَادَةَ المسبُوقِ (١)
قَلَّبَتْهُ الأَيْدِي قديمًا وَلِلْحَلْـ   بَةِ تُنْضَى الجيادُ بالتَّعرِيقِ (٢)
كلّما أُجْرِتِ الخلائقُ أَوْفَى   رَادِعاً في خَلَائِقٍ كالخلوقِ (٣)
صَافيَات عَلَى قُلوبِ المُصَافيـ   ـنَ ، رِقَاقٍ فى فَهْمِهِنَّ الرقيقِ (٤)
لو تَصَفَّحْتَهَا لأخرجتَ منها   ألفَ معنًى من حاتم مَسرُوقِ (٥)
ليسَ يَخلو منْ فِكرةٍ فى جَليلٍ   منْ أَفَانِينِ مَجدِهِ أَوْ دقيقِ (٦)
يَنظِمُ المجدَ مثلَ ما تَنظِمُ العقـ   ـدَ يدُ الصانعِ الصَّنَاعِ الرَّفيقِ (٧)

وقال يرثي المتوكل على الله عاشر خلفاء بني العباس وكان حاضراً مقتله :

مَحَلٌّ عَلَى القَاطُولِ أَخلَقَ دَاثِرُهُ   وَعادَتْ صُرُوفُ الدَّهرِ جَيْشاً تُغَاوِرُهْ (٨)
كأنَّ الصَّبَا تُوفِي نُذُوراً إِذَا انبرَتْ   تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا ، وَتُبَاكِرُهْ (٩)

---

(١) سابق النفع : يسبق الى المحامد ، وان رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب ، ويستقى الخ أى يستخرج من جهد كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه

(٢) قلبته الأيدى : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .

(٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلوق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .

(٤) المصافون : المخلصون . وصف لأخلاقه الحميدة .

(٥) حاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .

(٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه دائما فى عمل مجيد مهما تكن درجته .

(٧) الصناع : الماهر الحاذق .

(٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . واخلق : بلى والداثر ، الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

(٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تنتابه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا) . أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَان نَاعِمٍ ثَمَّ عَهدُهُ   تَرِقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُه(١)

تَغَـيَّرَ حُسنُ الجعفَرِيِّ وَأنسُهُ   وَقوِّضَ بَادِى الجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُه(٢)

تَحَمَّـلَ عنهُ سَاكِنُوه فُجَاءَةً   فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ وَمَقَابِرُه(٣)

إذَا نَحنُ زُرْنَاهُ أجَدَّ لَنَا الأسَى   وقد كانَ قَبلَ اليومِ يَبْهَجُ زَائِرُه(٤)

وَلَمْ أنسَ وَحْشَ القَصرِ إذْ رِيعَ سِرْبُهُ   وَإذْ ذُعِـرَتْ أطْلَاؤُه وَجَآذِرُه(٥)

وَإذْ صِيحَ فِيهِ بالرَّحِيل فهُتِّـكَتْ   عَلَى عَجَـل أسْتَارُهُ وَسَـتَائِرُه

وَوَحْشَـتَهُ حَتى كَأنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ   أنِيسٌ ، وَلَمْ تَحسُنْ لعَيْنٍ مَنَاظِرُه

كَأنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الخلافَةُ طَلْقَةً   بَشَاشَتُها ، وَالمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُه(٦)

وَلَمْ تَجْمَع الدُّنيَا إلَيْهِ بَهَاءَهَا   وَبَهْجَتَهَا وَالعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُه(٧)

فَأيْنَ الحِجابُ الصَّعبُ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ   بِهَيبَتِهَا أبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُه(٨)

---

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والشجر الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جميل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وباديه : ظاهره . وحاضره : داخله .

(٣) سواء : متساوية فى اقفارها وخلوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب: القطيع . والأطلاء : الظباء . المفرد طلا وطلو . والجآذر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤذر ، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان أ أى تروع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جـذع الشجرة حيث تكسر الأغصـان أو هو المخبر . يقال : فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

وَأيْنَ عَميدُ الناسِ فى كلِّ نَوْبَةٍ ... تَنُوبُ وَناهِى الدَّهْرِ فيهمْ وَآمِرُهْ (١)

تَخَفَّى لَـهُ مُغْتَالُـه تَحْتَ غِرَّةٍ ... وَأوْلَى لِمَنْ يَغتالُه لَوْ يُجاهِرُهْ (٢)

فمـا قاتَلَتْ عَنهُ المنايا جُنُودُهُ ... ولا دَافعتْ أَمْـلاكه وَذخائِرُه

وَلا نَصرَ المعتزَّ مَنْ كانَ يُرْتجَى ... له ، وَعزيزُ القوْمِ مَنْ عزَّ ناصِرُهْ (٣)

تعرَّضَ نَصْلُ السيفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ ... وغُيِّبَ عَنهُ فى خُراسانَ طَاهِرُهْ (٤)

ولَو عَاشَ مَيتٌ أو تَقَرَّبَ نَازِحٌ ... لدارتْ مِنَ المَكْرُوهِ ثَمَّ دَوَائِرُهْ (٥)

وَلَوْ لِعُبَيدِ اللهِ عَوْنٌ عَلَيهِمُ ... لَضَاقَتْ عَلَى وُرَّادِ أمْرٍ مَصَادِرُهْ (٦)

حُلُومٌ أضَلَّتهـا الأمانِى ، وَمُدَّةٌ ... تَنَاهَتْ ، وَحَتفٌ أوشكَتْهُ مقادِرُهْ (٧)

وَمُغْتَصَبٍ للقَتْلِ لم يَخْشَ رَهْطُهُ ... وَلم تَحْتَشِمْ أسْبابُهُ وَأوَاصِرُهْ (٨)

---

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملى على الدهر ارادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو أعان على قتلته لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضاقت مصادره عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَريعٌ تَقَاضَاهُ السيوفُ حُشَاشَةً ... يَجودُ بها ، وَالموتُ حُمرٌ أظافِرُه[١]

أدافِعُ عَنهُ باليدينِ ، وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَثْنِي الأعادِي أعزَلَ اللّيلِ حاسِرُه[٢]

وَلَو كان سَيْفِي ساعةَ الفتكِ في يَدِي ... دَرَى الفاتِكُ العَجْلانُ كيفَ أساوِرُه[٣]

حَرَامٌ عَلَيَّ الراحُ بَعْدَكَ أَوْ أرَى ... دَمًا بدَمٍ يَجرى على الأرضِ مَائِرُه[٤]

وَهَلْ أَرتَجِي أنْ يَطلبَ الدمَ وَاتِرٌ ... يَدَ الدَّهْرِ ، وَالمَوْتُورُ بالدَّمِ وَاتِرُه[٥]

أَكَانَ وَلِيُّ العَهدِ أَضمَرَ غَدْرَةً ... فَمِنْ عَجَبٍ أنْ وُلِّيَ العهدَ غَادِرُه[٦]

فَلا مُلِّيَ البَاقِي تُرَاثَ الذي مَضَى ... وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعاءَ مَنَابِرُه[٧]

وَلا وَأَلَ المشكوكُ فِيهِ ولا نَجَا ... منَ السيفِ نَاضِي السَّيفِ غَدْرًا وشاهِرُه[٨]

لَنِعمَ الدمُ المسفوحُ لَيلةَ جَعْفَرٍ ... هَرَقْتُم وجُنحُ الليلِ سُودٌ دَيَاجِرُه[٩]

---

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين اذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل فى الليل . والأعزل : من لاسلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسرة : لادرع معه فى هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أواثبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : الى أن أرى ، ومائره جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب فى جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذى قتله فهو واتر وموتور معا ؟ استفهام للنفى .

(٦) ولى العهد : المنتصر الذى خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وال : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كأنَّكُمُ لم تعلَموا مَنْ وَليُّهُ ... وَباغيهِ تحتَ المرهَفاتِ وَثائِرُه (١)
وَإني لأرْجُو انْ تردَّ أُمورُكُم ... إلى خَلَفٍ من شَخصه لا يُغادِرُه (٢)
مُقلِّبُ آراءٍ تخافُ أناتُهُ ... إذا الأخرقُ العجلانُ خِيفتْ بَوادِرُه (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نفسى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى ... وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كلِّ جِبْسِ (٤)
وَتَماسَكْتُ حينَ زَعْزَعَنى الدَّهْـ ... ـرُ التماسًا مِنهُ لِتَعْسِى وَنَكْسِى (٥)
بُلَغٌ منْ صُبَابَةِ العَيْشِ عِنْدِى ... طَفَّفَتْها الأيَّامُ تطفيفَ بَخْسِ (٦)
وبَعيدٌ ما بينَ وَارِدِ رَفْهٍ ... عَلَلٍ شُربُه ، ووارِدَ خِمْسِ (٧)
وكأنَّ الزَّمانَ أَصْبَحَ مَحْمُو ... لاً هَواهُ مَعَ الأخَسِّ الأخَسِّ (٨)

---

(١) وليه : صاحبه المطالب به.وباغيه : سافكه.والمرهفات : السيوف المرققة.وثائره :باعثه.

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتخير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الرأى : خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى: حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه.التماسا منه : طلبا منه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى مايكفى من العيش ولا يفضل.والصبابة : البقية.طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا .والخمس بالكسر من أظماء الابل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأنذال ، ويجور على الأخيار .

واشْـتِرَائِى العِرَاقَ خُطَّةُ غَـبْنٍ　　بَعْدَ بَيْعِى الشَّآمَ بَيْعَـةَ وَكْسِ (١)

لَا تَرُزْنِى مُزَاوِلًا لِاخْتِبَارِى　　عِندَ هَذِى البَلْوَى فَتُنكِرَ مَسِّى (٢)

وَقَدِيماً عَهِـدْتَنِى ذَا هَنَاتٍ　　آبِيَاتٍ عَلَى الدَّنِيَّاتِ شُمْسِ (٣)

وَلَقَدْ رَابَنِى نُبُـوُّ ابنِ عَمِّى　　بَعْدَ لِينٍ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأُنْسِ (٤)

وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنتُ حَرِيًّا　　أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِى (٥)

حَضَرَتْ رَحْلِىَ الهُمُومَ فَوَجَّهْـ　　ـتُ إِلَى أَبْيَضِ المَدَائِنِ عَنْسِى (٦)

أَتَسَـلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَآسَى　　لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ (٧)

ذَكَّرَتْنِيهِـمُ الخُطوبُ التَّوَالِى　　ولقد تُذْكِرُ الخُطُوبُ وتُنْسِى (٨)

---

(١) اشترائى العراق : اقامتى بها . وبيعى الشآم : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصلى .

(٢) رازه : جربه وقدره . فتنكر مسى : تجدنى أبيا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذل ، وآبيات على الدنيات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابنى : أوقعنى فى الريب (الشك) أو أرانى ماأكره . والنبوّ : النفور والجفوة . وابن عمه، هو الخليفة المنتصر ، فالبحترى قحطانى والخليفة عدنانى كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبى العرب ؛ وهذا يدل على أن البحترى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه اياه فى رثاءأبيه كما مضى .

(٥) حريا خليقا . يقول اذا جفيت تنقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقةالقوية.

(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى ألمت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمْ خَافِضُونَ فى ظِلٍّ عَالٍ مُشرِفٍ يُحسِرُ العيونَ وَيُخْسِى (١)

مُغلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلِ القَبْـ ـق إلى دَارَتَىْ خِلاَطٍ ومُكْس (٢)

حِلَلٌ لم تَكُنْ كأطلالِ سُعدَى فى قِفَارٍ من البَسَابِسِ مُلْس (٣)

وَمَسَاعٍ لولا المُحاباةُ مِنِّى لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وَعَبْسِ (٤)

نَقَلَ الدَّهرُ عَهْدَهُنَّ عن الجِدَّ ةِ حَتَّى غَدوْنَ أَنْضَاءَ لُبْس (٥)

فَكَأَنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأنْـ ـسِ وَإِخْلاَلِه بَنِيّةُ رَمْس (٦)

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِى جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَماً بَعْدَ عُرْسِ

وهو يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لاَ يُشَابُ البَيَانُ فِيهم بِلبْسِ (٧)

فإذا مَا رأيتَ صُورةَ أنْطَا كِيَّةَ ارتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرس (٨)

---

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش فى ظل عال : فى قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبج والقبجان . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة مافيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها.

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون. والبسابس : القفاز . ملس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار.

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنترة العبسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

والمنايَا مَوَاثِلٌ وأنو شِرْ وَانُ يُزْجِى الصفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ (١)

فى اخضِرَارٍ من اللِّبَاسِ عَلَى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فى صَبِيغَةِ وَرْسِ (٢)

وَعِرَاكُ الرِّجالِ بَينَ يَدَيْه فِى خُفُوتٍ مِنْهُمْ وإغماضِ جَرْسِ (٣)

منْ مُشِيحٍ يَهْوى بِعَامِلِ رُمْحٍ ومُلِيحٍ من السِّنانِ بِتِرْسِ (٤)

تَصِفُ العينُ أنهمْ جِدُّ أحيا ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إشارةُ خُرْسِ (٥)

يَغْتَلِى فِيهِمُ ارْتِيابِىَ حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَاىَ بِلَمْسِ (٦)

***

كأَنَّ الإيوان من عَجَبِ الصَّنْ عَةِ جَوْبٌ فى جَنْبِ أرعَنَ جِلْسِ (٧)

يُتَظَنَّى منَ الكَآبَةِ أنْ يَبْ دُو لِعَيْنَىْ مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّى (٨)

مُزْعَجاً بِالفِرَاقِ عنْ أُنْسِ إلْفٍ عَزَّ ، أو مُرْهَقاً بتَطْليقِ عِرْسِ

---

(١) مواثل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة. يزجى يسوق، والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا . والترس المجن .

(٥) تصف العين : يخيل اليها .

(٦) يغتلى الخ :يزيد ارتيابى : شكى فى حياتهم ، تتقراهم : تتبعهم : أى حتى المسهم فى الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى .

(٧) الجوب : الخرق. والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس : الجبل العالى، فكأن الايوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الايوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو ، ومزعجا حال من فاعل يبدو ، أى أن كآبته تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفاً أو عروسا .

عَكَستْ حظَّهُ الليَالِي وَبَاتَ المُشْـ ـتَرِى فِيهِ وهو كوكَبُ نحسِ (١)

فَهْوَ يُبدِى تجَلُّدًا وعليه كلكلٌ مِنْ كلاكِلِ الدهرِ مُرْسِى (٢)

لم يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ ـبَاجِ واسْتُلَّ منْ سُتورِ الدِّمَقْسِ (٣)

مُشْمَخِرٌّ تَعْلو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فى رُءوسِ رَضْوَى وَقدْسِ (٤)

لَابِسَاتٌ من الْبَيَاضِ فَمَا تُبْـ ـصِرُ مِنْهَا إلا غَلائلَ بِرْسِ (٥)

لَيسَ يُدرَى أَصُنْعُ إِنسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنعُ جِنٍّ لِإِنسِ

غَيْرَ أنى أرَاهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ يَكُ بانِيهِ فى المُلوكِ بِنِكْسِ (٦)

***

عُمِرَتْ للسُّرُورِ دَهراً فصارت لِلتَّعَزِّى رِبَاعُهُمْ وَالتأَسِّى

فلها أنْ أُعِينَهَا بدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ

ذاكَ عِنْدِى وَلَيسْت الدَّارُدارِى باقترابٍ منها ، ولا الجنسُ جِنسِى

غيرَ نُعمَى لأهلِهَا عِندَ أَهْلِى غرسوا مِن زكائها خَيرَ غرْسِ (٧)

أَيَّدُوا مُلكنَا ، وشدُّوا قُوَاهُ بحُمَاةٍ تحت السَّنَوَّرِ حُمسِ (٨)

---

(١) المشترى : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه .

(٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر : أى نازلة .

(٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس : الحرير الأبيض .

(٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بنائه . ورضوى : جبل . وقدس : جبل عظيم بنجد ، يشبه القصر فى ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .

(٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أو ما يشبهه .

(٦) النكس : الضعيف الدنىء .

(٧) زكائها : نمائها .

(٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحمس : شجعان . يشير الى بلاد فارس .

وأعانُوا على كَتائبِ أرْيا طَ بطعْنٍ على النُّحور ودَعْس (١)

وأرانِي منْ بَعدُ أكلَفُ بالأشرافِ طُرًّامن كلِّ سِنْخ وجِنْس (٢)

(١٥) ابن المعتزِ(٣)

قال يصفُ الروض :

وَعَلَى الأرضِ اصفِرَارٌ وَاخْضِرَارٌ واحْمِرَارُ

فكأنَ الرَّوْضَ وَشْيٌ بالغتْ فِيه التجار(٤)

نَقْشُهُ آسٌ ونسرينٌ وَوَرْدٌ وبَهَار(٥)

وقال فى سُرَّ منْ رأى بَعْدَ تَهدُّمِها :

قَدْ أقْفرتْ سُرَّ من رَا فَمَا لشىء دَوَامُ(٦)

فالنِّقْضُ يُحمَلُ مِنها كأنها الآجَامُ(٧)

---

(١) أرياط . قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن ذى يزن الاحباش بمعرفة الفرس . والدعس . الذود والطعن .

(٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسنخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولعبالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويع عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقاتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع فى الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن لوليد فى ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر .

(٥) اسماء أزهار مختلفة الألوان .

(٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددها المعتصم واقام بها.أقفرت :تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف .يريدأن الناس يحملون أنقضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كما مَاتَ فِيلٌ تُسَلُّ منه العِظَامُ[(١)]

وقال يصف هلالَ شوال :

أهلاً بفطرٍ قد أنافَ هِلَاله فالآنَ فاغْدُ على المُدَام وبكِّرِ[(٢)]
وانْظُرْ إليهِ كزَورَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قد أثقلتْهُ حُمُولَةٌ من عَنْبَرِ[(٣)]

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَلُّ البُكَا جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرَى[(٤)]
سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلها بِبَرقٍ كهِنـديَّةٍ تُنْتَضَى[(٥)]
فلمَّا دنَتْ جلْجَلتْ فى السما ءِ رعدًا أجَشَّ كجَرْسِ الرَّحا[(٦)]
ضمَانٌ عليهَا ارْتِدَاعُ اليَفَاعِ بأنـوارِهَـا واعتِجَارُ الرُّبَا[(٧)]
فَمَا زالَ مَدمَعُها باكِياً عَلَى التربِ حتَّى اكتسَى ما اكتسَى[(٨)]
فأضحتْ سَوَاءً وجوهُ البلادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهـا والتقى[(٩)]

---

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حمولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلمع فى الليل كأنه صباح، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ماارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِى صَارِمٌ فيه المنايَا كَوامِنٌ ... فما يُنتضَى إلا لِسفكِ دِماءِ (١)
تَرى فوقَ مَتنَيهِ الفِرِنْدَ كأنَّهُ ... بقِيَّةُ غيم رَقَّ دُون سَمَاءِ (٢)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تُرَجْرِجُ أمواجَه ... هُبُوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّبَا (٣)
إذا الشمسُ من فوقِهِ أشرقَتْ ... تَوَهَّمتَهُ جَوْشَنًا مُذْهَبَا (٤)

وقال يحذّر الطالبيين من طَلَبِ الخلافة ويتوعدهم .

أَبَى اللهُ إلَّا مَا تَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ ... عِتابٌ على الأقدار يا آلَ طَالِبِ (٥)
تَركنا كُمُ حِيناً فهَلَّا أَخَذْتُمُ ... تُرَاثَ النبيِّ بالقَنَا والقواضِبِ (٦)
زمانَ بنو حَرب ومروانَ مُمسِكو ... أَعِنَّةِ مُلْكٍ جائرِ الحُكْمِ غَاصِبِ (٧)
ألا رُبَّ يومٍ قد كسوْكُمْ عَمَائِمًا ... من الضَّرْبِ فى الهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوَائِبِ (٨)
فلمَّا أراقُوا بالسُّيوفِ دِمَاءَكُمْ ... أَبَيْنَا ولم نَمْلِكْ حَنِينَ الأَقَارِبِ
فَحِينَ أَخَذْنَا ثَأْرَكُمْ من عَدُوِّكُمْ ... قَعَدْتُم لَنَا تُورُونَ نَارَ الحُبَاحِبِ (٩)

---

(١) الصارم : السيف القاطع ، المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء .

(٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف الى الجملة الاسمية بعده . ويريد ببنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرءوس . والذوائب : ضفائر الشعر . يقول : ان بنى أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار الحباحب كناية عن الفتن التى لا تفيد شيئا .

وحزنا التى أعيتكم قد علمتم … فما ذنبنا ؟ هل قاتل مثل سالب؟
عطيةُ مُلكٍ قد حبانا بفضله … وقدَّره ربٌّ جزيل المواهب
وليس يريد الناس أن تملكوهمُ … فلا تثبوا فيهم وثوب الجنادب (١)
وإياكم إياكم وحذار من … ضراغمة في الغاب حمر المخالب (٢)
إلا إنها الحربُ التى قد علمتم … وجرّبتم والعلم عند التجارب

وقال فى الطرد : (٣)

لما تعرّى الأفقُ بالضياء … مثل ابتسام الشفة اللمياء (٤)
وشمطت ذوائبُ الظلماء … وهمَّ نجمُ الليل بالإغفاء (٥)
قُدْنا لعين الوحش والظباء … داهيةً محذورةَ اللقاء (٦)
شائلةً كالعقرب السمراء … مُرهفةً مطلقةَ الأحشاء (٧)
كمدَّةٍ من قلمٍ سوداء … أو هُدبةٍ من طرف الرداء (٨)
تحملها أجنحةُ الهواء … تستلبُ الخطوَ بلا إبطاء

---

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .

(٣) الطرد بفتحتين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة فى حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول : لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .

(٧) شائلة : مرتفعة الذنب . مرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوَثَّقَ الْأَعْضَاءِ   خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ(١)

كَأَثَرِ الشِّهَابِ فِي السَّمَاءِ   وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ

بِأُذُنٍ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ   كَوَرْدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ(٢)

ذَا بُرْثُنٍ كَمِثْقَبِ الْحَذَّاءِ   وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةِ الْأَقْذَاءِ(٣)

صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ   يَنْسَابُ بَيْنَ أُكَمِ الصَّحْرَاءِ

مِثْلَ انْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ   آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ(٤)

سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعِ الْأَطْلَاءِ   فِي عَازِبٍ مُنَوِّرٍ خَلَاءِ(٥)

أَحْوَى كَبَطْنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ   فِيهِ كَنَقْشِ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ(٦)

كَأَنَّهُ ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ   يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعَنَاءِ(٧)

* خَمْسِينَ لَا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

---

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : انه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الناب . والحذاء : الاسكاف .

(٤و٥) السفح : عرض الجبل . وآنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء فى البيت بعده مفعوله : أى أن هـذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها فى عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة فى سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الأين : التعب . يقول : ان هذا الكلب يصيد مالا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

الأندلس

(ا) النـــثر

النـــثر الفنى

١ — نبذة من الرسالة الجديدة لابن زيدون[١]
وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة
وهو فى سجنه يستعطفه

« يا مولاىَ وسيِّدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به وامتدادى منه ، وَمن أَبقاهُ اللهُ تعالى ماضِىَ حَدِّ العزمْ ، وَارِىَ زَنْدِ الأمل ، ثابتَ عهدِ النعمة . إن سلبتَنى — أعزَّكَ اللهُ — لباسَ إنعامك ، وعَطَّلْتَنى مِن حَلْى إيناسِك ، وَأَظمأتنى إلى بَرُودِ[٢] إسعافك ، وَنَفَضْتَ بى كَفَّ حِياطتك ؟ وَغضَضْتَ عَنِّى طَرْفَ حِمايتك ، بعد أن نَظَرَ الأعمى إلى تأميلى لك ، وَسَمِعَ الأصَمُّ ثنائى عليك ، وأحسَّ الجَماد باستحمادى لك ، فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ[٣] بالماء شاربه ، وَيَقْتُلُ الدواءُ المستشفِىَ به ، وَيُؤْتَى الحَذِر مِن مَأمنِه ، وتكون مَنِيَّة المُتَمَنِّى فى أُمْنِيَّته والحَيْنُ[٤] قد يسبقُ جهد الحريص :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على الفتَى　　وتهون غير شَماتَة الحُسَّاد

---

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون القرطبى وزير آل جهور بقرطبة ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى اسعافك الذى هو كالماء البارد فى اروائه للغليل .

(٣) يغص : يشرق .

(٤) الحين : الهلاك .

وإنى لأتجلَّدُ ، وأرِى الشامِتين أنّى لِريبَ الدهرِ لا أتضعضع ؛ فأقولُ : هل أنا إلّا يدٌ أَدْمَاها سِوارُها ، وجَبينٌ عَضَّ به إكليله ، وَمَشْرَفىٌّ[1] ألصقه بالأرض صَاقِلُه ، وَسَمْهَرِىٌّ[2] عرَضه على النار مُثَقِّفُه ، وَعَبْدٌ ذَهَبَ به سيِّدُهُ مذهبَ الذى يقول :

فَقَسَا ليَزْدَجِرُوا ؛ ومَنْ يَكُ حَازِماً   فليَقْسُ أحياناً على مَن يَرْحَمُ

هذا العتب محمودٌ عواقبُه ، وهذه النبوة[3] غَمْرَةٌ ثم تنجلى ، وهذه النكبةُ سَحَابَةُ صيْف عن قليل تَقَشَّع[4] ولَنْ يريبنى مِن سيّدى أَن أَبطأَ سَيْبُهُ[5] ، أو تأخر غَير ضنين غَنَاؤه ، فأبطأ الدِّلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السَّحائب مشيا أحفَلها ، وأنفع الحيا ما صَادَفَ جدْبا ، وألَذُّ الشَّرَاب ما أصَابَ غليلا . ومع اليومِ غد ، ولكلِّ أجل كتاب . له الحمد على اُهتباله[6] ، ولا عَتْب عليه فى إغفاله .

فإن يكن الفعل الذى ساءَ واحدا   فأفعالُه اللائى سَرَرْنَ ألوف

---

(١) المشرفى : السيف ينسب الى مشارف الشام .

(٢) السمهرى : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح واليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال : الاغتنام ، أى اغتنام معروفة .

وأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوكَ ، والجهلُ الذى لم يأت من ورائهِ حِلمك ؟ والتطاول الذى لم يستغرقه تَطَوُّلُك[١] ، والتحامل الذى لم يَفِ به احتمالك ؟ ولا أخلُو مِن أن أكونَ بَرِيئا ، فأين العـدل ؟ أو مسيئاً ، فأَيْنَ الفضل ؟

إلّا يكن ذَنْبٌ فعدلُك واسِعٌ أو كان لى ذنْبٌ ففضلك أوْسَع

ومنها :

وهل لَبسَ الصَّبَاحُ إلّا بُرْداً طَرَّزْتَه بفضائلك[٢] ؟ وتَقَلَّدَتِ الجوزاء إلّا عِقْدًا فَصَّلْتَه بمآثرِك ؟ واسْتَمَلى الربيع إلّا ثَنَاءً مَلأتَهُ بمحاسنِك ؟ وبَثَّ المسكُ إلّا حَديثا أذعتَهُ فى محامِدك ؟ ما يَوْمُ حليمة[٣] بسِرٍّ ! وإن كُنتُ لم أكْسُك سَليباً ، ولا حليتك عطلا ، وسمتك غفلا ، بل وجدت آجرا وجِصا فبنيت ، ومكان القول ذا سَعةٍ فقلت .

(٢) الفتح بن خاقان

قال فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حَسْداى[٤] :

ولمـا أعرسَ المستعينُ بالله ببنت الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتَمَن بالله فى ذلك احتفالا شَهرَه ، وأبدع فيه إبداعا راقَ مَن حضَره وبَهرَه ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ فى أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هـذه : هى بنت الحارس بن أبى شمر الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقيل : مايوم..الخ

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤتمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألبات ، وقطع دون معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دانٍ وقاص ، ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبوه متبرعين ، وكان مدير تلك الإراغة[1] ومدبرها ، ومنشىء مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت عنه فى ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضابها وإيجازها . فمن ذلك : ماخاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

« محلك أعزك الله فى طى الجوانح ثابت وإن نزحت الدار ، وعيانك فى أحناء الضلوع بادٍ وإن شحط المزار ، فالنفس فائزة منك بتمثيل الخاطر بأوفر الحظ ، والعين نازعة إلى أن تتمتع من لقائك بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغ بردًا ، ولاموهبة أسوغ وردا ، من تفضلك باللحوق إلى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه ، ويتصل بمحاضرتك انتظامه . ولك فضل الإجمال ، بالإمتاع عن ذلك بأعظم الآمال . وأنا (أعزك الله) على شرف سؤددك حاكم ، وعلى مشرع سنائك حائم . وحسبى ما تتحققه من نزاعى وتشوقى ، وتتيقنه من تطلعى وتتوقى . وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة ، واعترض الاقتراح ، بارتقاب الصلة . وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك ، وبارع كرمك ، تنشىء للمؤانسة عهدا ، وتورى بالمكارمة زندا ، وتقتضى بالمشاركة شكرًا حافلاً وحمدا . لا زلت مهنأً بالسعود المقتبلة ، مسوغًا اجتلاء غرر الأمانى المتهللة بمنه .

---

(١) الاراغة : الارادة والطلب والدعوة .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي[1]

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعدْل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومِنَحًا يبسُطُها إذا شاء ترفيهاً وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلُها صلاحاً وخَيْرًا ، وعلى آخَرين فساداً وضَيْرا : (وهو الذى يُنزِلُ الغيثَ مِن بَعْدِ ما قَنَطوا ويَنْشُرُ رحمتَه وهو الوَلىُّ الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتساك الحيا[2] ، وتوقُّف السُّقيا الذى رِيعَ[3] به الآمن ، واستُطيرَ له الساكن ، ورجَفت الأكباد فزَعاً ، وذَهِلت الألبابُ جزَعا وأذكتْ ذُكاءُ[4] حرّها ، ومَنَعَتِ السماءُ درَّها ، واكتسَت الأرضُ غُبْرَةً بعد خُضرة ، ولبسَتْ شُحوبا بعد نَضْرَة ، وكادت بُرودُ[5] الأرض تُطْوَى ، ومُدُودُ[6] نعم الله تُزْوَى[7] — نشرَ اللهُ تعالى رحمتَه ، وبسَطَ نعمتَه ، وأتاح[8] مِنّتَه ، وأزاح مِحنَتَه ، فبعثَ الرياحَ لواقِحَ ، وأرسل الغمامَ سَوافح ، بماء دَفَق ، ورَواء غَدَق[9] مِنْ سماء طَبَق[10] ، استَهَلَّ جفنُها فدمَع ، وسحَّ دمعُها فهَمَع ،

---

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة فى عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيأ وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذى يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

وصابَ وبلُها فنقَع ، فاستوْفتِ الأرض رِيًّا ، واستكملت من نباتها أثاثا ورِئْيا[١] فزينةُ الأرض مشهورة ، وحُلّةُ الروْض منشورة ، ومنة الرَّبِّ موفورة ، والقلوبُ ناعمةٌ بعد بُوسِها ، والوجوهُ ضاحكةٌ بعد عبوسِها ، وآثارُ الجزَع ممحوَّةٌ ، وسُوَرُ الحمد متْلُوَّة ، ونحن نستزيدُ الواهبَ نعمةَ التوفيق ، ونستهديه فى قضاء الحقوق إلى سواءِ الطريق ، ونستعيذُ به من المِنَّة أن تصيرَ فِتْنة ، ومن المِنْحة أن تعودَ مِحْنة . وهو حسبنا ونعم الوكيل !

(٤) ابن خفاجه[٢]

فصل من رسالة فى وصف رياض غب مطر :

ولما أكَبَّ الغمامُ إكبابا ، لم أجِدْ منه إغبابا[٣] ، واتَّصَلَ المطرُ اتصالا ، لم آلَفِ منه انفصالا ، أذِنَ اللهُ تعالى للصَّحْو أن يُطْلِعَ صَفْحَته ، ويَنْشُرَ صحيفَتَهُ ، فقشعتِ الريح السحابَ ، كما طَوَى السِّجِلُّ الكتابَ ، وطَفِقَت السماء تخلَعُ جِلْبابَها ، والشمسُ تُميطُ نِقَابَها ، وطَلعَتِ الدُّنيا تَبْتَهِجُ كأنَّها عَرُوسٌ تَجلَّتْ ، وقد تحلَّتْ ، فذَهَبْتُ فى لُمَّةٍ مِن الإخْوان نَسْتَبِقُ إلى الراحةِ رَكْضًا ، ونَطْوى للتفَرُّج أَرضًا ؛ فلا أنْدَفِع إلا إلى غَدِير نَمِير ، قد اُسدارَتْ مِنه فى كلِّ قرارةِ ماء ، سحابةٌ غَمَّاء[٤] ، وانساب ، فى تَلعتِه حَباب . فتردَّدْنا بتلك الأباطِح نَتَهادَى تَهادِىَ أغصانها ، ونَتَضاحَكُ تضاحُكَ أُقحوانِها ، وللنسيمِ ، أثناءَ ذلك

---

(١) الرئى : الثوب ، جمال المنظر .

(٢) هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقى الأندلس وأشهر وصاف الطبيعة بالأندلس ، وكان قليل التكسب بشعره ، توفى سنة ٥٣٣ هـ.

(٣) الاغباب : أن يجىء المرء القوم يوما ويغيب يوما . والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل بقى هاطلا .

(٤) الغماء : السحابة لافرجة فيها أى اشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب السماء الملتئمة .

المَنظر الوَسيم تَرَسُّلُ(١) مشى ، على بساط وَشْى ؛ فإذا مَرَّ بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرعا ، وأحكمَه صُنْعاً(٢) ، وإن عَثَرَ بجدولٍ شَطَبَ(٣) منهُ نَصْلاً ، وأخْلصَه صَقْلا ؛ فلا تَرَى إلا بطاحا ، مملوءة سِلاحا ؛ كأنما انهزمتْ هنالِك كتائبُ ، فألْقَتْ بما لَبِسَتْه مِن دِرعٍ مَصْقُول وسَيفٍ مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبى عامر بن عقال(٤)

كتب به عن الأمير إبراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بَحْرٍ ساكنٍ قد ذَلَّ بعْدَ استصعابه ، وسهُلَ بعد أن رأى الشامِخَ من هِضابه ، وصارَ حَيُّه مَيْتاً ، وهَدْرُه صَمْتا ، وجبالُه لا ترَى فيها عِوَجا ولا أَمْتاً ، وضَعُفَ تعَاطِيه ، وعقَدَ السِّلمَ بين مَوجه وشَاطيه ، فَعَبَرَ آمنا مِن سطوَاته ، مُتَمَلِّكاً لصَهَوَاتِه ، على جَوادٍ يَقطَعُ الجروفَ لَمْحًا ويكادُ يسبِقُ الريحَ سَبْحًا ، لم يحمل لجاما ولا سَرْجا ، ولا عَهِدَ غيرَ اللجة الخضراء مَرْجا ، عِنانهُ فى رِجْلِه(٥) . وهُدْبُ العَيْن يَحْكِى بَعْضَ شَكْلِه ، فلله درُّه مِن جَواد ، له جسم وليس له فُؤاد ، يَخْرِق الهواء ولا يرهَبُه ، ويَرْكَبُ الماءَ ولا يَشْرَبُه .

---

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة .

(٢) أى ان النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة .

(٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول فى صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين فكان كاتب انشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن لهمجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النـــثر العلمى

باب ما يهمز فيكون له معنى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب « المخصص »

يقال : قد روَّأْت فى الأَمر . وقد رَوَّيْتُ رأْسى بالدُّهن . وقد تملَّأْت من الطعام والشَّراب ، وقد تملَّيْتُ العيش : إذا عشتُ مليا أى طويلا . وتقول : قد تخطّأْتُ له فى هـذه المسألةِ ، وقد تخطَّيْتُ القَدمَ ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآن وما قرأَتِ الناقةُ سَلاً قطُّ ، أى لم تُلق وَلدًا أراد أنها لم تحمل . وقد قَرَيْتُ الضيف ، وقد سَوَّأْت عليه ما صنع ، إذا قلتُ له : أسأتَ ، وقد سوَّيت الشَّىْء . والعرب تقول : إن أصبتُ فصَوِّبْنى ، وإن أخطأتُ فخطِّئْنِى ، وإن أسأْتُ فسوِّئْ علىّ . وقد خَبَأَ الشَّىْءَ يخبَؤُه خَبْئا — وقد خَبَتِ النارُ خُبُوًّا — إذا ذهب لَهَبُهَا ، وقد برأتُ مِن المرَض أبرأُ بُرْءًا ، وَقد بَرَيْتُ القَلَمَ . وقد بارأْتُ شريكى — إذا فارقته — وقد بارأَ الرجل امرأَتَه ، وَباريتُ فلانا إذا كنتَ تفعَلُ ما يفْعَلُ ؛ وفلان يُبارِي الريحَ سخاءً .

---

(١) صاحبه أبو الحسن على بن اسماعيل النحوي اللغوى الضرير المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . عن ٦٠ سنة .

(١) ابن هانئ الأندلسى (١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط :

أَمَا وَالجوارِى المنشآتِ التى سَرَتْ　　لقــد ظاهَرَتها عُدَّةٌ وعَديدُ
قِبَابٌ كما تُزْجَى القِبـابُ عَلَى المَها　　وَلـكِنَّ مَنْ ضُمَّتْ عليهِ أُسود (٢)
وللهِ — مِمَّا لا يرَوْنَ — كتائِبٌ　　مُسَوَّمَةٌ تَحْدُو بهـا وجُنود (٣)
أطاعَ لهـا أن الملائكَ خلفها　　كما وَقفَتْ خَلْفَ الصُّفوفُ رُدود (٤)
وأن الرِّيَاحَ الذاريات كتائبٌ　　وأنَّ النُّجومَ الطالعــاتِ سُعود

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأندلسى الأزدى. ولد بأشبيلية بالاندلس ، ونشأ بها فقال الشــعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحــه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستوليــة عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات فى الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللاتى يشبهن المها .

(٣) ولله كتائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى دان لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود : جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

ومما راعَ مَلْكَ الرُّوم إلا اطّلاعُها ... تُنَشَّرُ أعــلامٌ لها وبُنود
عليها غمامٌ مُكفهِرٌّ صَبيرُهُ ... له بارقاتٌ جَمَّةٌ ورُعــود(١)
مواخرُ فى طامِى العُبابِ كأنها ... لِعزْمِك بأسٌ أو لكفّك جُود
أنافتْ بها أعلامُها ، وسمَا لها ... بناءٌ على غــير العَراء مَشيد
وليس بأعلى شاهقٍ، وهو كوكبٌ ، ... وليس من الصُّفّاح ، وهو صَلود
من الراسيات الشمِّ لولا انتقالُها ... فمنها قِنانٌ شُمَّخ ورُيود(٢)
من الطير إلا أنهن جوارحٌ ... فليس لها إلّا النفوسَ مَصيدُ
من القادحاتِ النار تُضْرَمُ للصِّلى ... فليس لها يومَ اللقاء خمود
إذا زَفَرَتْ غيْظا ترامت بمارِجٍ ... كما شُبّ من نار الجحيم وَقود
فأفواهُهُنّ الحامياتُ صواعقٌ ... وأنفاسهُن الزافراتُ حَديد
يُشَبُّ لالِ الجاثليق سَعيرُها ... وما هى من آل الطريد بَعيد
لها شُعَلٌ فوق الغِمار كأنها ... دماءٌ تَلقّتْها ملاحِفُ سُود
تُعانِقُ مَوْجَ البحرِ حتى كأنه ... سَليطٌ لها فيه الذُّبالُ عَتيد
ترى الماءَ فيها ، وهو قانٍ عُبابُه ... كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود(٣)
فليس لها إلا الرياحَ أعِنةٌ ... وليس لها إلا الحَبابَ كَديدُ(٤)

---

(١) الصبير : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقذوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان . جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب في الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : يراد به الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغَيْرُ المَذاكِى نَجْرها غير أنها مُسَوَّمَةٌ تحت الفوارس قُودُ(١)

ترى كُلَّ قَوْداءِ التَّليل إذا انْثَنَتْ سوالفُ غيدٍ بالمها وَقُدُود(٢)

رحيبة مَدّ الباع وهى نضيحة بغير شَوًى ، عذراء وهى ولود(٣)

تَكَبَّرْنَ عن نَقْع يُثار ، كأنها مَوالٍ ، وجُرْدُ الصافنات عَبيد

لها من شُفوفِ العبقرىِّ ملابسٌ مُفَوَّفَةٌ فيها النُّضارُ جَسيد(٤)

كما اشتملتْ فوق الأرائك خُرَّدٌ أو التفعتْ فوق المنابرِ صيد(٥)

لُيُوثٌ تَكُفُّ المَوْج ،وهو غطامط وتدرأ بأسَ الْيَمِّ ، وهو شديد(٦)

فمنه دروعٌ فوقها وجواشنٌ ومنه خَفاتينٌ لها وبُرود

ألا فى سبيل الله تبذل كُنْهَ ما تَضِن به الأنواءُ وهى جَمُود

فلا غَرْوَ إن أعْزَزتَ دين مُحَمَّد فأنتَ له دون الملوك عَقِيدُ

---

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار: واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقواد أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركابها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى اذا انثنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهى تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهى ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان مايشبه الثياب العبقرية المفوقة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كماتشتمل الجوارى الخرد الثياب، وهن جالسات على الأرائك، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهراً ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيتُ بعَيْني فوقَ ما كنتُ أَسمعُ … وقد رَاعَنى يومٌ من الحَشْر أرْوُع
غَداةَ كأَنَّ الأفْقَ سُدَّ بمِثْله … فعادَغُروبالشمسمِن حيثُ تطلُعُ
فلم أَدْرِ إذْ سَلَّمْتُ كيفَ أشيِّعُ … ولم أدرِ إذْ شيَّعْتُ كَيْفَ أودِّع
وكيف أَخُوض الجيشَ والجيشُ لُجَّةٌ … وإنِّى بمَن قاد الجُيوشَ لَمُولَع
وأيْنَ ؟ ومالى بَين ذا الجمع مَسْلَكٌ … ولا لِجَوادِى فى البسيطة موضِعِ
ألا إنَّ هذا حَشْدُ مَن لم يَذُقْ له … غِرارَالكَرَى جفْنٌ، ولاباتَ يَهجع
نصيحتُه للمُلْكِ سَدَّتْ مَذاهِبى … فما بَيْنَ قِيد الرمحِ والرُمحِ إصْبَع
فَقَدضَرعَتْحتى الرَّوَاسِى لِمارأَتْ … فكيفقلوبُالإنسِ؟ والإنسُأضْرَع
فلا عسكرٌ من قَبْلِ عَسكرِ جَوْهرٍ … تَخُبُّ المطايا فيه عَشْراً ، وتُوضِع(١)
تَسيرُ الجبالُ الجامداتُ لسَيْرِه … وتَسْجدُمن أَدْنَى الحَفيفِوتَرْكَعُ
إذا حل فى أرضٍ بناها مدائنا … وإن سار عن أرض ثوَتْ وهى بَلْقع(٢)
سمَوْتُ له بعدَ الرحيل ، وفاتَنى … فأقسمتُ أن لاَ لاَ يُلاَئِمَ مَضْجَعُ
فلما تداركْتُ السُّرادِقَ فى الدُّجَى … عَشَوْتُ إليه ، والمشاعِلُ تُرفَع

---

(١) الخبب والايضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير فى امتداده عشر ليال ، مبالغة فى طوله .

(٢) اذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة فى أول بنائها معقلا للعساكر .

فَبِتُّ ؛ وَبَاتَ الجيشُ جَمًّا سَمِيرُه … يُؤَرِّقُنِي ، والجنُّ فى البيد هُجَّعُ

فَتَخْرِقُ جَيْبَ المُزْنِ وَالمُزْنُ دائِمٌ … وَنُوقِدُ مَوْجَ اليمّ ، واليم أَصْقَعُ (١)

وَهَمْهَمَ رَعدٌ آخرَ الليل قاصِفٌ … وَلاح مع الفجر البوارقُ تلمعُ

وأَوْحَتْ إلينا الوحْشُ : ما اللهُ صانِعٌ … بِنا وَبِكُم من هَوْل ما نتسمَّع ؟

وَلم تعْلَم الطَّيْرُ الحوائمُ فَوْقَنا … إلى أين نَسْتَذْرِى ولا أين تفْزَع (٢)

إلى أن تبدَّى سيفُ دَولة هاشِمٍ … على وجهه نُورٌ من الله يسطع

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن على :

فَتكاتُ طَرْفِكِ ، أم سيوفُ أبِيكِ … وَكُئوسُ خمْرٍ ، أم مَراشفُ فيكِ

أَجِلادُ مُرْهَفَةٍ وفَتْكُ مَحاجرٍ ؟ … ما أَنْتِ راحمةٌ ولا أَهْلوكِ !

يَا بِنْتَ ذِي البُرْدِ الطويلِ نِجادُهُ … أكذا يجوزُ الحكمُ فى ناديك ؟ (٣)

قد كانَ يدعُونى خيالُكَ طارِقاً … حتى دعانى بالقنَا داعيك

عَيْناكِ أم مَغْناكِ مَوْعِدُنا ؟ وفى … وادِى الكَرى أَلْقاكِ أم واديك ؟

منعُوكِ من سِنَةِ الكرى ، وسروا ؛ فلَوْ … عَثروا بطَيْفٍ طارقٍ ظَنُّوكِ

ودعَوْكِ نشْوَى ، ما سَقَوْكِ مُدامةً ! … لمّا تمايلَ عِطفُك اتَّهمُوكِ

حسِبُوا التَّكَحُّلَ فى جفُونِك حِلْيَةً … تاللهِ ما بِأكفِّهم كَحَلُوكِ !

---

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة :أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائم أى المتسع العظيم ويمتد الى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد . أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستذرى : تطلب ذرا تلتجىء اليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْكَ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنا بَانَةٍ   حتى إِذَا احْتَفَلَ الهوَى حجَبُوكَ !
ولوَى مُقَبَّلَكَ اللثَامُ ، وما دروْا   أَنْ قَدْ لثِمْتَ بِهِ ، وقبلَ فُوكَ
فَضَعِي الْقِناعَ فَقَبْلَ خَدِّكَ حُمِّرَتْ   راياتُ يحيَى بالدَّمِ المسفوكِ

وقال يرثى والدة يحيى وجعفر ابنى على :

إِنَّا ، وفي آمالِ أَنْفُسِنا   طُولٌ ، وفي أعمارِنا قِصَر
لنَرَى بأَعْيُنِنَا مَصارِعَنا   لو كانتِ الألبابُ تَعتبر !
مِمّا دَهَانا أَنَّ حاضِرَنا   أجفانُنا ، والغائبُ الفِكَرُ
وإذا تدَبَّرْنا جوارِحَنا   فأَكَلُّهُن العَيْنُ والنَّظَر
لو كان للأَلباب مُمْتَحِنٌ   ما عُدَّ مِنها السَّمْعُ والبصَرُ (1)
أَىُّ الحياةِ أَلَذُّ عِيشَتَهَا   مِن بَعْدِ عِلْمِى أنا بَشَر ؟
خَرِسَتْ لعَمْرُ اللهِ أَلْسُنُنَا   لمَّا تَكلَّمَ فَوْقَنا القَدَر

(٢) ابن بُرْد الأصغر من شعراء الأندلس

قال يصف السحب والبرق :

وما زِلْتُ أَحسَبُ فيه السَّحابَ   ونارُ بَوَارِقِها تلتهِب
بَخاتِىَّ تُوضَعُ فى سَيْرِها   وقد قُرِعَتْ بِسِيَاطِ الذَّهب

(١) أى ماعد من الألباب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصريبصر العبر فلا ينزجر .

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسى[١]

قال فى الوصف ؛ يصف حماما :

ونائحٍ فى غُصون الدَّوْح أَرَّقَني ... وما عُنِيتُ بِشَيْءٍ ظلَّ يَعْنِيه
مُطَوَّقٍ بعُقُودٍ ما تزايلُهُ ... حتى تُزايله إحدى تَراقيه[٢]
قد بات يَبكى بشَجْوٍ مادَرَيْتُ به ... وبتُّ أَبْكِي بشَجْوٍ ليسَ يَدْرِيهِ .

وقال فى المدح :

كريمٌ على العِلَّات جَزْلٌ عطاؤهُ ... مُنِيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِنَوالِ
وما الجودُ مَن يُعْطِي إذا ماسألتَهُ ... ولَكِنَّ مَن يُعطى بغَير سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطَبٍ تَقْضِي المنايا بحُكْمِه ... وليس لما تَقْضِي المنيةُ دافِعُ[٣]
فِرِنْدٌ إذا ما اُعتَنَّ للعين راكدٌ ... وبَرْقٌ إذاما اُهتَزَ بالكف لامِعُ[٤]
يُسَلِّلُ أرْوَاحَ الكُماةِ اُنسلالهُ ... ويرْتَاعُ منه اُلموتُ والموتُ رائعُ
إذا ما اُلْتَقَتْ أمثالُه فى وَقِيعةٍ ... هُنالِكَ ظَنُّ النَّفس بالنَّفس واقِعُ[٥]

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذى يعد من أركان الأدب العربى توفى سنة ٣٢٨ هـ • .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان فى عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز فى جانبى السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ماتظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضاً :

بكلّ مأثورٍ على مَتْنـــه مِثلُ مدَب النَّمل فى القاع (١)
يرتدّ طرْفُ العَيْن عن حَدِّه عن كوكبٍ الموْت لمَّاعِ

(٤) ابن زيدون (٢)

قال :

أَضحى ٱلتنائى بَديلاً مِن تَدانينا ونابَ عن طِيبِ لُقيانا تجَافينا
بِنتُمْ وبِنَّا ؛ فما ابْتلَّتْ جوانحُنا شوقاً إليكم ، ولا جَفَّتْ مآقينا (٣)
يكادُ حِينَ تُناجيكم ضمائرُنا يقضِى علينا الأسَى لولا تأسِّينا (٤)
حالَتْ لفقدِكُم أيامُنا ، فغَدتْ سُوداً ، وكانتْ بِكُم بيضاً ليالينا (٥)
إذْجَانِبُ العَيْش ِطلقٌ مِن تألُّفِنا ومَوْرِدُ اللهْوِ صافٍ مِن تَصافينا
وإذْ هَصَرْنا غُصونَ الأُنْس دانيةً قُطوفُها ؛ فَجَنَيْنَا مِنه ماشِينا (٦)
ليُسْقَ عهدُكُم عهدُ السرور؛ فما كُنْتُم لأرواحنا إلّا رياحينا

---

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليـه أمثال مداب النمل من انعكاس الضـوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نثره .

الجوانح : جمع جانحة : وهى الضـلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض الى سود .

(٦) هصرنا : أملنا الى ناحيتنا .

مَنْ مُبلِغُ الملْبِسينا بانتزاحِهِمُ حُزْناً مع الدهر لا يَبْلَى ، ويُبْلينا(١)
إن الزّمانَ الذى ما زالَ يُضحكُنا أُنسًا بقربكمُ قد عادَ يُبكينا
ما حقّنا أن تقِرّوا عينَ ذى حسدٍ بنا ، ولا أن تسُرّوا كاشحاً فينا(٢)
غِيظَ العِدَى من تَساقينا الهوى فدَعَوْا بأن نَغَصّ ، فقال الدهرُ : آمينا !
فانحلّ ما كان معقودًا بأنفسِنا وانبتّ ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكُونُ ، وما يُخشَى تفرُّقُنا فاليومَ نحنُ ، وما يُرجَى تلاقينا
لم نعتقِدْ بَعْدَكم إلا الوفاءَ لكمْ رَأياً ، ولم نتقلّد غيرَه دِينا
لا تحسَبُوا نأيكمْ عنا يُغَيّرُنا إنْ طالمَا غيّرَ النأيُ المحبّينا
وَاللهِ ما طَلَبتْ أهْواؤنا بدَلًا منكم ، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
وَلا استفدْنا خليلًا عنكِ يَشغَلُنا وَلا اتّخذْنَا بديلًا منك يُسلينا
ياساريَ البرْقِ غادِ القصرَ فاسقِ به مَن كانَ صِرْفَ الهَوى والوُدّ يَسقِينا
ويا نسيمَ الصّبا بلّغْ تحِيّتَنَا مَنْ لوْ عَلَى البُعد حيًّا كانَ يُحيينا
يا روضةً طالما أجنَتْ لواحظَنا وردًا جلاه الصِّبا غضًّا ونِسرينا(٣)
ويا حياةً تملّيْنَا بزَهْرَتِها مُنًى ضرُوباً ولذّاتٍ أفانينا(٤)

---

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمر للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمعنا ، والمنى جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نعيما خطرنا من غضارته ... في وشي نعمى سحبنا ذيلها حينا(١)
لسنا نسميك إجلالاً وتكرمة ... وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
إذا انفردت وما شوركت في صفة ... فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيينا
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها ... والكوثر العذب زقوماً وغسلينا(٢)
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا ... والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا ... حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي ... مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت ... عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً ... مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمنهله ... شربا ، وإن كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه ... سالين عنه ، ولم نهجره قالينا
ولا اختياراً تجنبناك عن كثب ... لكن عدتنا على كره عوادينا(٣)
نأسى عليك إذا حثت مشعشعة ... فينا الشمول وغنانا مغنينا(٤)
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا ... سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلهينا

---

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجبا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشي نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب البارد . والكوثر : الكثير من كل شيء ، والنهر ، ونهر في الجنة . والزقوم المذكور في القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كثب : عن قرب . وعدتنا العوادي : صرفتنا الصوارف . وهي شواغل الدهر وصروفه .

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشعة الممزوجة بالماء .

دُومِى على العهدِ ما دُمنا مُحافِظَةً　　فالحرُّ مَن دان إنصافاً كما دِينا
فما ابتغَينا خليلا منك يَحبِسُنا　　ولا استفدنا حبيباً عَنك يُغنينا
ولو صَبا نحوَنا من عُلوِ مطلَعه　　بَدرُ الدُّجى لم يكن ـ حاشاك ـ يُصبينا
أَوْلِى وَفاءً ، وإن لم تَبذُلِى صِلةً　　فالذكرُ يُقنِعُنا ، والطيفُ يَكفينا
وفى الجواب اقتناعٌ لو شَفَعْتِ به　　بيضَ الأيادى التى ما زِلتِ تُولينا
عليكِ منى سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ　　صبابةٌ منك نُخفيها فتُخفينا

وقال فى الذكرى متوجعا :

ودَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ　　ذائعٌ من سِرِّهِ ما استودَعَكْ
يقرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يَكُنْ　　زاد فى تلك الخُطا إذ شَيَّعَكْ
يا أخا البدرِ سَناءً وسنى　　حَفِظ اللهُ زمانا أطْلَعَكْ
إن يَطُلْ بعدَكَ ليلى فلَكَمْ　　بِتُّ أشكو قِصَرَ الليل مَعَكْ

(٥) أبو بكر محمد بن عمار (١)

قال :

وهَوِيتُه يَسقِى المُدامَ كأنّه　　قمرٌ يطوف بكوكبٍ فى حِنْدِسِ
مُتأرِّجَ الحرَكاتِ تَندَى ريحُهُ　　كالغُصْنِ هزّته الصَّبا بتنفُّسِ
يسعَى بكأْسٍ فى أنامل سَوْسَنٍ　　ويُدير أُخرى فى مَحاجِرِ نَرجِسِ (٢)

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنه المعتمد، وبيد المعتمد قتل بعد خيانة له فى الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بليغا يتشبه بالمتنبى فى مطامعه فى الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله فى الاستعطاف :

سَجَايَاكَ إن عافيْتَ أندَى وأسمحُ ... وعُذْرُكَ إن عاقبْتَ أجْلى وأوضح
وإن كان بَيْنَ الخُطَّتَين مَزِيَّةٌ ... فأنْتَ إلى الأدْنَى مِنَ اللهِ أجنح
حَنَانَيْكَ فى أخذى برأيكَ لا تُطِعْ ... عُدَاتِى ، وإن أثْنَوْا عَلَىَّ وأفصَحوا
وماذا عسَى الأعداء أن يَتَزَيَّدُوا ... سِوَى أن ذَنبى وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ
نَعَمْ لِىَ ذَنْبٌ ! غير أن لِحِلْمِكم ... صَفاةً يَزِلُّ الذنبُ عنها فيسفَح (١)
وإنَّ رجائى أن عندكَ غيرَ ما ... يخوضُ عدوِّى اليوم فيه ويَمرَح
ولِمْ لا ؟ وقد أسلفتُ وُدًّا وَخِدْمَةً ... يكُرَّانِ فى لَيْلِ الخطايا فيُصبِح
وَهَبْنِىَ قد أعقبتُ أعمالَ مُفسدٍ ... أما تَفسُدُ الأعمالُ ثُمَّتَ تَصْلُح (٢)
أَقِلْنى بما بَيْنِى وبينكَ من رِضاً ... له نحوَ رَوْحِ الله بابٌ مُفَتَّح !
وعَفِّ عَلَى آثارِ جُرْمٍ جنيتُه ... بِهَبَّةِ رُحْمَى منك تمحو وتَصفَح
ولا تلتفِتْ رأىَ الوُشاة وقولَهم ؛ ... فكل إناء بالذى فيه يَرْشَحُ (٣)
سَيَاتيكَ فى أمْرِى حديثٌ ، وقد أتَى ... بزُورِ بنى عبد العزيز مُوَشَّحٌ (٤)
ما ذاكَ إلا ما علمتَ ؛ فإننى ... إذا ثُبتُ لا أنْفَكُّ آسو وأجرح (٥)

---

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل وينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا .

(٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرقى الأندلس ، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان .

(٥) اذا ثبت : اذارجعتالى ماكنت عليه من وزارتك.وآسو : من أساالجرح أى دواه وعالجه. والمراد لاأنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخيلتهُم ، لا درَّ للهِ درُّهُمْ ؛ أشارُوا تِجاهي بالشَّماتِ ، وصرَّحوا[١]
وقالوا : سيجزيهِ فلانٌ بفعلِهِ ! فقلتُ : وقد يعفو فلانٌ ، ويَصْفح !
ألا إن بَطْشاً للمؤيَّدِ يتَّقَى ولكن حِلْماً للمؤيَّد أرجح
وبينَ ضُلوعى من هَواهُ تَميمةٌ ستنفعُ لو أنّ الحِمامَ مُجَلِّحُ[٢]
سلامٌ عليهِ كيفَ دارَ بهِ الهوى : إلىَّ فيَدْنو ، أو علىّ فينزَح[٣]
ويَهْنيهِ إن مِتُّ السُّلُوُّ ؛ فإنَّني أموت ، ولِى شوقٌ إليه مُبَرِّحُ

(٦) ابن وهبون فى الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسى من شعراء شرق الأندلس ، وكان خدم المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلمه وشعره يصف النيلوفر[٤] :

وبِركةٍ تَزهُو بنَيْلُوفَر نَسيمُه يُشبِهُ رَوحَ الحَبيبْ
حتى إذا الليلُ دَنَا وقتُه ومالتِ الشمسُ لِعين المَغيبْ
أَطبقَ جفْنَيْهِ على إلْفِهِ وغاصَ فى الماءِ حذارَ الرقيبْ

---

(١) نخيلتهم : أى هذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودر هنا فعل ماض من در اللبن : ودرهم فاعله على نحو جد جده وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم ، أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمة : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها فى أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين . والمجلح : الأكول . والمعنى فى قلبه حب سينفعنى ويشفع عنده اذا أراد الموت أكلى .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسى[١]

قال فى الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشِكَ هل تدرِى أَهُوجُ الجنائِبِ تَخُبُّ بِرحْلِى أم ظهورُ النَّجائِبِ ؟[٢]

فما لُحْتُ فى أولَى المشارِقِ كوكباً فاشرقتُ حتى جِئتُ أُخْرَى المغارِبِ

وَحِيداً تَهادَانِى الفيافِى فأَجتلِى وُجوهَ المنَايا فى قِناعِ الغياهِبِ

ولا جارَ إلا من حُسامٍ مُصَمِّمٍ ولا دارَ إلا فى قُتُودِ الركائبِ[٣]

ولا أُنْسَ إلا أَنْ أضاحِكَ ساعةً ثُغُورَ الأَمانى فى وُجُوهِ المطالب

وَلَيْلٍ إذا ما قلتُ : قد بادَ فانقضَى ، تَكشَّفَ عن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِب

سَحَبْتُ الدَّيَاجِى فيه سُودَ ذَوائب لأَعْتَنِق الآمالَ بِيضَ تَرائب

فَخَرَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عن شَخْصِ أطلَسٍ تَطلَّعَ وَضَّاحَ المَضاحِكِ قاطِب[٤]

رأيتُ به قِطعاً مِنَ الفَجْرِ أغبَشاً تَأَمَّلَ عن نجم تَوَقَّدَ ثاقِب[٥]

وأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤَابَةِ باذِخٍ يُطاوِلُ أعنانَ السماءِ بغارِبِ[٦]

---

(١) مرت ترجمته عند نثره .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث انه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يسُدُّ مَهَبَّ الريح عن كلّ وِجْهة ويزحَم ليــلاً شهبَهُ بالمناكب
وَقُورٌ على ظهر الفــلاةِ كأَنَّه طِوالَ الليالى مُفْــكِرٌ فى العواقب
يلُوث عليــه الغَيْمُ سُــودَ عمائمٍ لها مِن وَميض البَرقْ حُمْرُ ذوائب(١)
أَصَخْتُ إليهِ ، وهوأخرسُ صامِتٌ ! فحدَّثَنِى ليــلَ السُّرى بالعَجائب
وقال : إلَى كمْ كُنْتُ مَلْجأَ قاتِلٍ ومَوْطِنَ أوَّاهٍ تَبتَّل تائب(٢)
وكم مَرَّ بى مِنْ مُدْلِج ومُؤوِّبٍ وقالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِيٍّ وراكب
ولاطَمَ مِن نُكْب الرِّياح مَعاطِفِى وزاحَمَ مِن خُضْرِ البِحار غَواربى(٣)
فما كان إلا أَنْ طَوَتْهم يَدُ الرَّدَى وطارتْ بِهم رِيحُ النَّوَى والنوائب
فما خَفقُ أَيْكى غَيْرُ رُجفَةِ أَضْلُع ولا نَوْح وُرْقِى غَيْرُ صَرْخَةِ نَادب(٤)
وما غَيَّضَ السُّلوانُ دمعى ، وإنما نَزَفْتُ دموعِى فِى فِراقِ الصواحِب
فحتَّى متَى أبقى ؟ ويظعَنُ صاحبٌ أُوَدِّعُ منــه راحلاً غير آئب
وحتى متى أرعَى الـكواكبَ ساهراً ؟ فمِنْ طالع أُخرَى الليــالى وغارِب
فرُحماكَ ياموْلاىَ دَعْوَةَ ضارِع يَمُدُّ إلى نُعْماكَ راحةَ راغب !
فأَسمَعَنى من وَعْظِهِ كلَّ عِبْرةٍ يُتَرْجِمها عنهُ لِسانُ التجارِبِ

---

(١) يلوث : يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر .

(٢) يريد بالأواه التائب : الراهب الذى يبنى صومعته فى رءوس الجبال .

(٣) النكب : جمع نكباء ، وهى الريح تهب بين مهبى ريحين . ومعاطفى وغواربى : يريد بهما جوانبى وأظهرى .

(٤) أى خفق غصون أيكى . والأيك : اسم جمع لأيكة ، وهى الأشجار المتكائفة . والورق : جمع ورقاء وهى : الحمامة .

فسلّى بما أبكى وسَرَّى بما شَجَا ... وكانَ على عَهْدِ السُّرَى خيرَ صاحِب
وقلتُ ، وقد نـكَّبتُ عَنْهُ لطيَّةٍ : ... سَلاَمٌ ! فإنَّا مِنْ مُقيمٍ وذاهِب (١)

وقال :

أَحْسُ المُدامَةَ والنسيمُ عَليلُ ... والظلُّ خفَّاقُ الرُّواقِ ظَليلُ (٢)
والنَّوْرُ طَرْفٌ قـد تَنبَّه دامعٌ ... والمـــاءُ مبتسمٌ يروقُ صَقيل
وتطلَّعتْ مِن بَرْقٍ كل غمامةٍ ... فى كلِ أُفْقٍ رايةٌ ورَعِيـل (٣)
حتى تهادَى كلُّ خُوطةٍ أَيْـكَةٍ ... رَيًّا وغَصَّبْ تَلْعَةٌ ومَسـيل (٤)
عَطَفَ الأراكَةَ فانثنتْ شُـكْراً لَهُ ... طَرَباً ورَجَّعَ فى الغُصون هَديلُ (٥)
فالرَّوْضُ مُهتَزٌّ المَعاطِفِ نَعْمَةً ... نَشْوانُ يَعْطِفُه الصَّبا فَيميل
رَيَّانُ فَضَّضَهُ النَّدَى ثُمَّ انْجلَى ... عنـهُ فذَهَّبَ صَفْحَتَيْهِ أَصيل
وارتدَّ ينظُرُ فى نِقاب غمامَةٍ ... طَرْفٌ يُغِضُّه النُّعاسُ كَليل (٦)
ساجٍ كمَا يرنُو إلى عُوَّادِه ... شاكٍ ويلتَمِحُ العزيزَ ذليلُ

---

(١) نكبت عليه : ملت عنه وانصرفت.والطية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن فى(من مقيم) زائدة أو بيانية . أى فانا من بين مقيم ، وهو أنت ، وذاهب ، وهو نحن .

(٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه .

(٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها فى الحرب وشبهالبروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رءوسهم .

(٤) كل خوطة : أى كل غصـن . والأيكة : الشجر الملتف . والتلعة : مجرى المـاء من الجبل الى الوادى .

(٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراكة . والهديل : ذكر الحمام .

(٦) طرف : أى طرف كل شـارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضـوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهمينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر فى غمامة كأنها النقاب ، وهذا الطرف كليل من السكر ، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى أعواده ، أو طرف الذليل يلمح العزيز .

وقال :

رُبَّما أستضحكَ الحبابَ حبيبٌ ... نفضتْ ثوبَها عليه المدامُ
كلَّما مرَّ قاصِرًا من خُطاهُ ... يتهادَى كما يمُرُّ الغَمامُ
سَلَّمَ الغُصْنُ والكثيبُ علينا ... فعلى الغُصْنِ والكثيبِ السَّلامُ

وقال فى طول الليل :

يا ليلَ وَجْدٍ بنَجْدٍ ... أمَا لِطَيْفِكَ مَسْرى
ومَا لِدَمْعِى طَليقاً ... وأنجُمُ الجوِّ أسْرَى
وقد طَمَى بَحْرُ لَيْلٍ ... لم يُعْقِبُ المدَّ جَزْرَا
لا يَعبُرُ الطَّرْفُ فيهِ ... غيرَ المجرَّةِ جِسْرا

(٨) ابن سهل الأندلسى (١)

قال :

سَلْ فِى الظَّلامِ اخاكَ البَدْرَ عَنْ سَهَرِى ... تَدْرِى النجُومُ كمايَدرِى الوَرَى خَبَرِى
أبيتُ أَهْتِفُ بالشَّكْوى وأشْرَبُ مِن ... دَمْعِى وأَنْشَقُ رَيَّا ذكْرِكَ العطِرِ
حتى أُخَيَّلَ أنى شاربٌ ثَمِلٌ ... بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الكأسِ والوتَرِ
مَنْ لِى به ؟ اُختلفتْ فيه الملاحةُ إذْ ... أوْمَتْ إلى غيره إيماءَ مُحْتَضَرِ (٢)

---

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلى الأندلسى وكان يلقب قبل اسلامه بالاسرائيلى . كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحة عن نفسهاعند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة اشارة ضعيفة كاشارة المحتضر عند الموت .

مُعطَّلٌ فالحَلى منه مُحَلاّةٌ تَغْنَى الدَّرَارِي عن التَّقْليد بالدُّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لفؤادى نِسْبَةٌ عَجَبٌ كِلاهُما أبداً يَدْمى مِنَ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل فى توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَن مَكْنِسِ
فهو فى حَرٍّ وخَفْق مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بالقَبَسِ

* * *

يا بدورًا أَشْرَقتْ يومَ النَّوَى غُرُرًا تسلُك بى نَهْجَ الغَرَرْ (٣)
ما لنَفْسى فِي الهوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنكم الحسنى ومِن عَيْنى النَّظر
أَجْتَنى اللذاتِ مَكلومَ الجَوَى والْتذاذى مِنْ حَبيبى بالفِكَر (٤)

* * *

كلَّمَا أشْكُوهُ وجْدِى بسَمَا كالرُّبَا بالعارِض المُنْبَجِس (٥)
إذ يُقيمُ القَطْر فيها مَأْتَما وهى من بَهْجَتِها فى عُرُسِ (٦)

* * *

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فؤادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخده كان يدمى من حمرة الخجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التغرير والخطر .

(٤) أى وانما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم فى الربا مأتما ومناحة ببكائه على حين أن الربا فى أعراس من بهجتها .

أيُّها السائلُ عَن جرْمِى لَديْهِ   لِى جزاءُ الذّنْب وهو المُذْنِبُ
أَخذتْ شمسُ الضحا من وَجْنَتَيْهِ   مَشْرِقاً للشمس فيه مَغْرِبُ(١)
ذهَبَ الدمعُ بأَشْواقى إلَيه   وله خدٌّ بلحْظِى مُذْهَبُ(٢)

* * *

يَنْبُتُ الوَرْدُ بغَرْسى كلَّما   لاحَظَتْهُ مُقْلَتى فى الخُلَس
ليتَ شِعْرِى أىُّ شَىءٍ حَرَّما   ذلكَ الوردَ على المُغْتَرِس

* * *

كلَّما أشكو إليهِ حَرَقِى   غادرتْنِى مقلتاهُ دَنِفا
تَركتْ ألحاظُهُ من رمقِى   أَثَرَ النّمْل على صُمِّ الصَّفا(٣)
وأنا أشكُرُه فيما بَقِى   لستُ ألحاهُ على ما أتْلفَا

* * *

فهو عندى عادلٌ إنْ ظَلَما   وعذولى نُطْقُه كالخَرَس
ليس لى فى الأمر حكمٌ بعدَما   حلّ مِن نفسى مَحَلَّ النفَس

* * *

منه للنّار بأحشائى ضِرَامْ   تَتَلَظَّى كلَّ حِين ما تَشَا
هِىَ فى خدَّيهِ بَرْدٌ وسلامْ   وهى حَرٌّ وحَرِيقٌ فى الحشا
أتَّقى منهُ على حُكْمِ الغرَام   أَسَدًا وَرْدا وأهواهُ رَشَا

* * *

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره اليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لايؤثر مشيه فى الصخرة الملساء .

قلتُ — لما أن تبدى مُعْلَما وهو من أَلحاظِه فى حرَس
أيهـا الآخِـذُ قلبى مَغْنَمَا اجعَلِ الوَصْلَ مكان الُخمُس (١)

(٩) وقد عارضه فى هذا التوشيح الوزير (٢)

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادَكَ الغيث إذا الغيْثُ هَمَى يا زمانَ الوَصْل بالأَندلُسِ
لم يكن وصلُك إلا حُلُمَا فى الـكَرى أو خِلْسة المختَلس

***

إذ يَقُودُ الدَّهرُ أشتاتَ المُنى تَنْقُل الخطْـوَ على ما يَرْسمُ
زُمَرًا بين فُـرَادَى وثُنَى مثلما يدعو الوُفودَ المَوْسِمُ
والحيَاَ قد جَلَّلَ الرَّوضَ سَنَى فثُغور الزهر منـه تَبْسِمِ

***

ورَوَى النُّعْمَانُ عن ماء السما كيف يَروِى مالكٌ عن أَنَس (٣)

---

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة وبالزندقة ، ففر الى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٧٦٠هـ وكان شاعرا كاتبا مؤرخا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان أما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول ، وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الامام مالك بن أنس امام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشىء عنه .

فكساه الحسنُ ثوْباً مُعلمَا يزدَهِي منهُ بأَبهَى ملبَسِ

* * *

فى ليالٍ كَتَمتْ سرَّ الهوَى بالدُّجَى لولا شُموسُ الغُرَرِ
مالَ نَجْمُ الكأْس فيها وهوى مستقيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وطَرٌ ما فيه من عيْب سِوَى أنه مرَّ كلَمحِ البَصَرِ

* * *

حينَ لذّ الأُنْسُ شيئاً أوْ كما هجمَ الصبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ
غارت الشُّهبُ بنا أوْ رُبَّما أَثَّرَتْ فينا عيونُ النرْجِسِ

المغرب ومماليك البربر

النـــثر

(ا) النـــثر الفنى

(١) التلمسـانى (١)

قال فى الفراق .

الدهرُ ذو غِيرَ ، وَمَن ذا يحكمُ على القَدَر ؟ وما ضَرَّه لو غَفَل قليلا ، وشَفَى بلقاء الأحِبّةِ غَليلا ، وسَمَح لنا بساعة اجتماع ، ووصل ذلك الأمل القَصيرَ بباع ، وزَوَى (٢) ؛ مَسافةَ أيام ، كما طوَى مَراحلَ أعوام . يامؤْيِسِى (٣) ، أفلا أشفقتَ مِن عذابى ، وسمَحْتَ ولو بسلام أحبابى ، أسلمْتَنى إلى ذَرْعِ (٤) البيد ، ومُحالَفَةِ الذَّميل والوَخيد (٥) ، والتنقّل فى المشارق والمغارب ، والتمطّى فى

---

(١) هو أبو اسحق بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة . دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ ه بسبتة عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى .

(٣) يخاطب الدهر .

(٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٥) ضربان : من سير الابل وغيرها .

الصَّهوَاتِ(١) والغوارب . يا سائقَ البَيْنِ دَعْ مَحْمِلَهْ ، فما بَقِيَ فى الجسم لَنْ يَحْمِله ، ويا بناتِ جَدِيل(٢) ، ما لَكُنَّ وللذَّميل ؟ ثم مَا للزاجر الكاذب ، وللغراب الناعب ؟ يجعَلُه نذيرَ الجلا ، ورائدَ الخلاَ ، ما أبعدَ ابن زَاجر(٣) ، عن دَارِ الزاجر ؛ إنما فعَلَ ما تَرى ، ذاتُ الغَارِب والقَرا(٤) ، المختالةُ فى الأَزِمَّة والبُرَى(٥) ، والمتَرَدِّدَةَ بين التأويب والسُّرى(٦) ؛ طالمَا با كَرَتِ النَّوى(٧) ، وصَدَعَت صَدْع الهوَى ، وتركت الهائم بين رَبع مُحِيل(٨) ، ورَسِمٍ مُستحيل(٩) ، يَقْفو الأَثْرَ بجده ، ويسألُ الطلَلَ عَن عهدِه . وإنْ أَنصفْتَ فما لِعيرٍ(١٠) مَقُودَةً ، وإبل مطرودة ، غَلَّتْ(١١) عن الْحَوْضِ والشَّوْط(١٢) ، وأُسلِمَتْ إلى الحَبل والعصا والسَّوْط . ولو خُيِّرَ البازِى لأقام ، ولو تُرِكَ القَطَا لَيلاً لنام ؛ لـكنّ الدَّهْر أبُو بَراقش(١٣) ، وسهمُ بَيْنِه بَيْنَ بَنيهِ غَيْرُ طائش ، فهو الذى شَتَّتَ الشَّمْلَ وصَدَعه ، وما رُفِعَ سَقْفٌ بِعِمادِه إلاَّ وَضَعَه ، ولا بَلَّ غليلاً أحرقَه بنار وجده ولا نَقَعَه .

---

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جديل : النوق الكريمة تنسب الى أبيها جديل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق .

(٨) مضى عليه حول .

(٩) متغير .

(١٠) ابل الميرة .

(١١) شربت ولم ترو .

(١٢) مجرى الماء بين جبلين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النـــثر العلمى

لابن شَرف القَيْروانى(١) فى كتابه أعلام الـكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القَيْروانى :

هذه أحاديثُ صَغتها مختلفةَ الأنواع ، مؤتلفةً فى الأسماع ، عربياتِ المواسم ، عربيات التراجم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الـكلام ، بديعاتِ النظام ، لهـا مقاصدُ ظِراف ، وأسانيدُ طِراف ، يروقَ الصغيرَ معناها ، والـكبير مغزاها ، وعَزَوْتُها إلى أبى دَيَّان الصَّلْتِ بن السَّكَن من سَلامان(٢) ، وكان شيخاً هِمًّا(٣) فى اللسان ، وبَدرا تمًّا فى البيان . قد بَقِىَ أحقابا . ولَقِى أعقابا ، ثم أَلْقَتْهُ إلينا مِن باديته الأَزَمات ، وأوْرَدَتْه علينا العَزَمات . فامْتَتَحْنا(٤) مِن عِلمه بحراً جارياً ، وَقَدَحْنا من فَهمِه زَنْدا وَارياً ، وَأدَرْنا من برّه طرفاً ، واجتنينا من ثمره طُرفا . ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِل . وغفلةُ الزمان تَهْتَبِل(٥) : واحتذيتُ فيما ذهبتُ إليه ، ووقَعَ تَعريضى عليه ، من بَثّ هذه الأحاديث ما رَأيتُ الأوائلَ قد وضعتْه فِى كتاب كليلة ودمنة ، فأضافوا قولَ الحِـكْمة إلى الطير الحوائم ، ونَطَقُوا به على ألسنة الوَحْش والبهائم لِتَتَعَلَّقَ به شَهَوات الأحداث ، وتُسْتَعْذَبُ بسَمَره

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد اللهمحمد بن أحمد شرف الجذامى القيروانى . كان قرين ابن رشيق فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٤٦٠هـ ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجع ومدح بليغ ووصفبديع ، ويشوب شعره مزاج منالبديع وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيىء وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيىء .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيرا فى فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بئر ونحوه .

(٥) تهتبل : تفتنم .

ألفاظُ الحُدّاث . وقد نحا هذا النحوَ سهلُ بن هارون الـكاتب فى تأليفه كتاب النمر والثعلب ، وهو مشهور الحـكايات بديعُ المراسلات ، مليح المـكاتبات . وزوّرَ أيضاً بديع الزمان ، الحافظ الهمذانى . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين ، مقامات كان يُنشِئُها بديهاً فى أواخر مجالسه ، وينسبُها إلى راوية رواها له يُسمِّيه عيسى ابنَ هشام . وزعم أنه حَدَّثَه بها عن بليغ يُسَمِّيه أبا الفتح الاسكندرى . وعددُها فيما يزعم رُواتها أربعُمائة مَقامة ؛ إلا أنها لم تصلْ هذه العِدةُ إلينا . وهى متضمنةٌ معانىَ مختلفة ، ومبنية على مبانِىَ شتى غير مؤتلفة ، لينتفع بها من الـكتاب والمحاضرين مَن صَرَفها مِن هَزْل إلى جدّ . ومِن ندّ إلى ضِدّ . فأقمت من هذا النحو عشرين حديثاً ، أرجو أن تَبَينَ فضلَها ، ولا تقصر عما قبلها . ولعمرى ما أشـكرُ مِن نفسى ولا أُثْنى على شىء من حِسى ، إلا ظفَرى بالأقل مما حاولتُه ، على ما أضْرَمَته نيرانُ الغربة من قلبى ، وثلَمتْه صَعقَاتُ الفِتنة من لُـبّى . وقطعت أهوالُ البرِّ والبَحر من خواطرى ، وأضعَفَت الوَحشةُ والوَحدة من غرائزِى وبصائرى ، لـكنّ نيّةَ القاصد وسعةَ المقصود . أعانا ذا الوُدّ على إتحاف المودود . واللهَ أسألُ توفيقاً . ينهَجُ لنا إلى الرشد طريقاً .

(ج) الشعر

(١) على بن محمد الإيادى

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمى قال :

اعْجَبْ لِأسطول الإمامِ مُحَمّد ولِحُسنِهِ وزَمانِه المُستَغْرَبِ
لبِسَت به الأمواجُ أحْسَنَ مَنْظَر يَبْدو لَعَيْنِ الناظر المستَعْجِبِ
مِن كلِّ مُشْرِفةٍ على ما قَابَلَت إشرافَ صَدْرِ الأجْدَلِ المُتَنَصِّبِ (١)
دهماءَ قد لبِستْ ثِيابَ تصنُّع تَسْبي العُقولَ على ثِيابِ تَرَهُّبِ (٢)
من كلِّ أبيضَ فى الهواءِ مُنَشَّر منها . وأسحمَ فى الخَليج مُغَيَّب (٣)
محفوفةً بمجادِفٍ مَصْفُوفةٍ فى الجانبين دُوَيْنَ صُلْب صُلَّب (٤)
كقوادِمِ النَّسْرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ من كاسِيات رياشِهِ المُتَهَدِّب (٥)
وتَحُثُّهَا أيدى الرجال إذا وَنَتْ بمُصَعِّد مِنها بُعَيْدَ مُصَوِّب

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هى النقوش المصطنعة ، وثياب الترهب هى طلاء القار الأسود عليها من أسفل لان الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والمتن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسر .

خَرْقاءَ تذْهَبُ إِنْ يَدٌ لم تَهْدِهَا ... فى كل أوْبٍ للرياح ومَذْهَب

جوفاءُ تحمِلُ كوكبا فى جَوْفِهَا ... يَوْمَ الرِّهَانِ ، وتَسْتَقِلُّ بِمَوْكب

ولها جناحٌ يستعارُ لِطَيْرِهَا ... طَوْعَ الرياح وراحةِ المتطرِّبِ

يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارةً ... فى كل لُجٍّ زاخِرٍ مُغْلَوْلِب

تسمو بأجردَ فى الهواءِ مُتَوَّج ... عُريانَ مَنْسُوج الذُّؤابةِ شَوْذَبِ(١)

يَتركَّبُ المَلاحُ مِنهُ ذُبابَةً ... لو رامَ يركبُها القَطا لم يرْكب

فكأنما رَامَ اسْتِراقَةَ مقعدٍ ... للسَّمْع إلا أنَّهُ لم يُشْهَب

وكأنما جِنٌّ ابن دَاودٍ هُمُ ... رَكِبُوا جَوانِبَهَا بأعْنَفِ مَرْكَب

سَجَرُوا جوَانبَ نارِها ، فتقاذَفُوا ... مِنْهَا بأَلْسُنِ مَارِجٍ مُتَلَهِّب

مِن كلِّ مَسجُون الحريق إذا انْبَرى ... مِن سِجنِهِ انْصلتَ انْصلاتَ الكوكب(٢)

عُريانَ يَقْدُمُهُ الدُّخانُ كأنّه ... صُبْحٌ يكرُّ على الظَّلام الغَيْهَب

ولَوَاحقٍ مِثْلَ الأهلَّةِ جُنح ... لُحُقَ المُطالب فائتاتِ المَهْرَب

يذْهَبْن فيما بينهُن لَطافَةً ... ويجئْن فِعْلَ الطائر المُتَغَلِّب

كنضائِضِ الحيَّاتِ رُحْنَ لَواعبًا ... حتَّى يَقعْنَ ببِرْكِ مَاءِ المِيزَب

شَرَجُوا جوانبَها مجادفَ أتْعبَت ... شَأْوَ الرِّياحَ لها ، ولَمَّا تَتْعَب

تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كما نَفَر القَطا ... طَوْرا ، وتَجْتَمِعُ اجتماعَ الرَّبْرَب

---

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب .

(٢) كانوا يرمون بقدور وقنانىمن الزجاج والفخار بها سائل مننفط ومواد ملتهبةيقذفون بها مراكب العدو وهى النار الاغريقية التى جهل الآن تركيبها .

والبَحْـرُ يجمع بَيْنَهَا فـكأنَّه ... لَيْـلٌ يُقرِّبُ عقرَباً مِن عقْرَب

وعَلَى كَوَاكِبِها أُسُودُ خِـلَافةٍ ... تختالُ فى عُدَدِ السلاحِ الْمُرهِب

فـكأنما البحرُ استعارَ بزِيِّهـمْ ... ثَوْبَ الجَمالِ مِنَ الرَّبيعِ الْمُذْهب

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القَيْروانى(١)

قال يتشوّق إلى مصر ومعاهده بها . وكان رحل إليها بهدية من باديس بن زيرى إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى :

هَلِ الرِّيحُ إنْ سَارَتْ مُشَرِّقَةً تَسْرِى ... تُؤَدِّى تَحِيَّاتٍ إلى سَاكِنِى مِصْر

فَمَا خَطَرَتْ إلّا بَكَيْتُ صَبَابَةً ... وَحَمَّلْتُهَا ماضاقَ عن حَمْلِهِ صَدْرى

تَرَانى إذا هَبَّتْ قَبُولًا بنَشْرِهِمْ ... شَمِمْتُ نَسِيمَ المِسْكِ فى ذلك النَّشْر

وإن أنسَ مِن شَىْءٍ سِوَى العَهْدِ دُونَه ... فليس بخالٍ من ضَميرى وَمِنْ فِكْرِى

لَيَالٍ أَنِسْناها عَلَى غِرَّةِ الصِّبَا ... فطابتْ لنا إذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدهر

لعَمرِى لَئِن كانت قِصَارا أَعُدُّها ... فَلَسْتُ بمُعْتَدٍّ سِواهَا مِنَ العُمْر

أُخادِعُ دَهرِى أن يَعُودَ بفُرْصَةٍ ... فَيَنْقُذَ رُوحَ الوَصْلِ من راحةِ الهَجْر

وتَرجِعُ أَيَّامٌ خَلَتْ بمَعَاهِدٍ ... مِنَ اللَّهْوِ لا تَنفَكُّ مِنِّى عَلَى ذُكْر

فَكَمْ لِىَ بالأَهْرَامِ أو دَيْرِ نَهْيَةٍ ... مَصَايِدُ غِزْلَانِ المَكايِدِ وَالقَفْر(٢)

---

(١) هو ابراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة فى دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ افريقية أثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ.

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد فى بادية الهرم .

إلى الجيزةِ الدُّنْيا وما قد تَضَمَّنَتْ جَزيرتُها ذاتُ النواعيرِ والجسرِ

وبالمَقْسِ والبُسْتانِ للعَيْنِ منظرٌ أنيقٌ إلى شاطِئِ الخليجِ إلى القَصْرِ [1]

وفى سَرْدُوسَ مُسْتَرادٌ ومَلْعَبٌ إلى دَيْرِ مَرْحَنَّا إلى ساحلِ البَحْرِ [2]

وكَمْ بَيْنَ بُسْتانِ الأميرِ وقَصْرِهِ إلى البِرْكَةِ الزَّهْراءِ من زَهْرٍ نَضِرِ

تَراها كمرآةٍ بَدَتْ فى رَفارِفٍ مِنَ السُّنْدُسِ المَوْشِيِّ يُنْشَرُ للتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى [3]

قال يتغزل :

أمَا ومَحَلِّ حُبِّكِ مِن فُؤادِى وقَدْرِ مكانِهِ فيهِ المَكينِ

لو انْبَسَطَتْ لِىَ الآمالُ حتَّى تُصَيِّرَ مِن عِنانِكِ فى يَمينى

لَصُنْتُكِ فى مكانِ سَوادِ عَيْنى وخِطْتُ عليكِ مِنْ حَذَرٍ جُفونى

فأبْلُغُ منكِ غاياتِ الأَمانى وآمَنُ فيكِ آفاتِ الظُّنونِ

فلِى نَفْسٌ تُجَرَّعُ كُلَّ حينٍ عَلَيْكِ بِهِنَّ كاساتِ المَنُونِ [4]

إذا أمِنَتْ قُلوبُ النّاسِ خافَتْ عليكِ خَفِىَّ ألحاظِ العُيونِ

---

(١) المقس موضعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير. وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى امام العربية والآدب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة. رتبه على حروف المعجم : وكان أديبا كاتبا شاعرا رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وُدًّا ولا تظهرُوهُ   يُهْدِهِ مِنْكُمْ إلىَّ الضَّمِيرُ
ما أُبالِي إذا بلغتُ رضاكُمْ   فى هَوَاكُمْ لأىِّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن على الُحصْرىُّ القَيْرَوانِىّ(١)

قال :

يا هَلْ بَكَيْتُ كما بَكَتْ   وُرْقُ الحمائم فى الغُصُونِ
هتَفَتْ سُحَيْرًا وَالرُّبَا   للقَطْرِ رَافِعَةُ الُجفُونِ
فكأنما صاغَتْ عَلَى   شَجْوِى شجَا تلك اللُّحُون

وقال :

كَتَمْتُ هواكِ حتّى عيلَ صَبْرِى   وأدْنَتْنِى مُكاتَمَتِى لِرَمْسِى
ولم أَقْدِرْ عَلَى إخفاء حَالٍ   يحُول بها الأَسَى دُونَ التَّأَسِّى
وحبُّكِ مالكٌ لحْظِى ولفظِى   وإظْهارِى وإضمارِى وَحِسِّى
فإن أَنطق فَفيكِ جميعُ نُطْقِى   وإنْ أَسْكُتْ فَفيك حديثُ نفسى

(٥) ابن رشيق القيروانى(٢)

قال :

أُحِبُّ أخى وإن أعرَضْتُ عَنْهُ   وَقَلَّ عَلَى مسامِعِه كلامى
ولِى فى وجْهِهِ تقطيبُ راضٍ   كما قَطَّبْتَ فى وَجهِ المُدَامِ

---

(١) صاحب كتاب زهر الأداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ.

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذى لم يؤلف المتقدمون مثله فى نقد الشعر وكان من كتاب المعز أبن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه فى كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥ هـ. بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

ورُبَّ تَجهُّمٍ من غَيْرِ بُغْضٍ ... وضِغْنٍ كامِنٍ تحت ابتسام

وله أيضا :

مَن جفَانى فإنّنِى غَيْرُ جافٍ ... صلَةٌ أوْ قطعيةٌ فى عَفاف

رُبّما هاجَر الفتَى مَن يُصافيـ ... ـهِ وَلاقَى بالبشرِ مَن لا يُصافى

وقال :

ومِن حَسناتِ الدّهرِ عندىَ ليلةٌ ... مِنَ العُمْرِ لم تَتْرُكْ لأيّامِها ذَنبا

خَلَوْنَا بها نَنفِى القذى عن عُيوننا ... بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَة ذَهبًا سَكْبًا(١)

وله أيضا :

فِى النَاسِ مَن لا يُرتجَى نفعُهُ ... إلّا إذا مُسَّ بإضْرارِ

كالعُودِ لا تَطْمَعُ فى طِيبِهِ ... إنْ أنْتَ لم تَمْسَسْهُ بالنّار

وقال :

وَلَوْ غَيْرُكَ المرسومُ عِندى بِرِيبة ... لأَعْطَيْتُ فيه مُدَّعى القومِ ما ادَّعى

فلا تَتَخالَجَكَ الظنونُ فإنّها ... مآثِمُ واتْرُكْ للصنائِع مَوْضِعاً

فواللهِ مَا طَوَّلْتُ باللوم فيكمُ ... لِساناً ولا عَرَّضْتُ للذّمِّ مَسْمَعاً

ولا مِلْتُ عنكم بالودَادِ ولا انطوتْ ... حبالِى ولا وَلّى ثنائى مُوَدِّعاً

بَلى رُبَّما أَكرمتُ نفسِى فلم تَهُنْ ... وأجْلَلْتُها عن أنْ تَذِلَّ وتَخْضَعا

فبايَنتُ لا أنَّ العدَاوَةَ بايَنتْ ... وقاطعتُ لا أَنَّ الوفاءَ تَقَطَّعَا

---

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمراً .

(٦) ابن شرف القَيْروانى(١)

من قوله :

إنْ تَدْعُكَ الغُـرْبَةُ فى مَعشَر قَدْ جُبِـلَ الطبعُ عَلَى بُغْضِهِمْ
فدارِهِمْ ما دُمْتَ فى دارِهِمْ وأَرْضِهِمْ ما دُمتَ فى أرضهم

وقـوله :

احْذَرْ محاسِنَ أوجُهٍ فَقَدَتْ محَا سِنَ أنفُسٍ ، وَلَوْ أنها أَقْمَارُ
سُرُجٌ تلوحُ إذا نَظَرْتَ فإنها نُورٌ يُضِىء وَإِنْ مَسَسْتَ فنَارَ

وقوله فى العود :

سَقَى اللهُ أرضاً أنبَتت عودَكَ الذى زكَتْ مِنهأغصانٌ،وطَابت مَغَارسُ
تَغَـنى عَلَيْهِ الطيْرُ والعُودُ أخْضَرٌ وغَنّتْ عليهِ الغِيدُ ، والعُودُ يابسٌ

وقوله :

لا تسأَلِ الناس والأيامَ عَن خبَرٍ هُمَا يَبُثّانِكَ الْأَخْبارَ تَطفِيلا
ولا تُعَاتِبْ على نَقْص الطباعِ أَخاً فإن بَدْرَ السما لم يُعْطَ تكميلا
لا يُؤْيِسَنَّكَ من أَمْرٍ تَصَعّبُهُ فاللهُ قد يُعْقِب التَّصْعيبَ تَسهيلا
بِعْ مَن جفاكَ ولاتبخلْ بسلْعَتِهِ واطلبْ به بَدَلا إن رَامَ تبديلا
وصيِّرِ الْأَرْضَ داراً والورَىٰ رَجُلا حتى تُرى مُقْبلاً فى الناس مَقْبُولا

(١) تقدمت ترجمته عند نثره .

وقولُه :

يا ثاوياً في مَعْشَر قد اُصطلى بنارِهِمْ
إن تبكِ من شرَارِهم على يدَىْ شرَارِهم
أو تُرْمَ من أحْجارِهم وأنتَ في أحْجَارِهم
فما بقيتَ جارَهُم ففي هواهُمْ جارِهم
وأرضهم في أرضهم ودارهم في دارِهِمْ

(٧) عبد الجبار بن حَمْديس

قال يصف بركة يجرى إليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منها ما يقذف المـاء صعدا ، ومنها ما يحدره إلى أسفل ، ومنها ما يقطعه كرات وبنادق :

وَالمـاءُ منه سَبَائِكٌ من فِضَّةٍ ذابَتْ عَلَى دُولاب شاذَرْوَان(٢)
فـكأنما سَيْفٌ هناك مُشَطَّبٌ أَلْقَتْهُ يومَ الرَّوْعِ كَفُّ جبَانِ(٣)
كَمْ شاخِص فيه يُطيلُ تَعَجُّباً من دَوحَة نَبَتَتْ من العِقْيَانِ(٤)
عَجَباً لهـا تَسْقِى هنَاكَ يَنَائِعاً يَنَعَتْ من الثمرات وَالأغْصان(٥)

---

(١) هوأبو محمد عبد الجبار بن‌محمد بن حمديس‌الأزدى الصقلى أحدوصافى الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوصة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٢٥٧ ه .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنٍ لها حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حسنها من ثانى
قُسُّ الطيور السَّاجِعَات بلاغةً وفصاحة من مَنْطِق وبَيَانِ (١)
فإذا أتيحَ لها الـكلامُ تَـكَلَّمَتْ بِخَرِير ماء دائم الهَمَلاَنِ
وكأن صانعها اُستَبدَّ بصنعةٍ فَخَرَ الجَمَادُ بهـا على الحيوان
أَوْفَت على حوْض لها فكأنها منها إلى العَجَبِ العُجَاب رَوانِى
وكأنها ظنَّتْ حلاوةَ مائهـا شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَان
وزرافة فى الجوِّ من أُنْبوبِهَا ماءٌ يُرِيكَ الجَرْىَ فى الطَّيَرَانِ
مَرْكُوزَة كالرُّمْح حيث ترى له من طَعْنِهِ الحَلَقَ انْعِطَافَ سِنَان (٢)
وكأنمـا ترى السماءَ بِبُنْدُق مُسْتَنْبَط من لُؤْلُؤ وَجُمَان
لو عاد ذاكَ المـاءُ نِفطاً أحْرقت فى الجوّ منه قميصَ كلِّ عَنَانِ
فى بِرْكة قامت على حافاتها أسْدٌ تَـذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطانِ
نَزَعت إلى ظُلْم النفوس نفُوسُها فلذلك انتُزِعَتْ من الأبدان
وكأنما الحَيَّاتُ من أفواهها يَطْرَحْن أنفسَهُنَّ فى غُدْرَان
وكأنما الحيتان إذْ لم تخشها أَخذت من المنصور عهد أمان (٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبَّـذا دار قضى الله أنّها يُجَدَّدُ فيها كلُّ عزّ ولا يَبْلَى
وما هى إلا خِطَّـةُ المَلِكِ التى يحُطُّ إليها كلُّ ذى أمل رَحْلاَ

---

(١) كان الماء اذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الحلق : الدروع .

(٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحت أبوابُها خِلْتَ أنّها ... تقول بترحيب لداخلها : أهْلا !
وقد نَقَلَتْ صُناعها من صفاته ... إليها أفانيناً ، فأحسَنت النَّقْلا
فمن صَدْرِه رُحْباً ، ومن نوره سنى ... ومن صيته فرعاً ، ومن حلمه أصْلا
فأعلَتْ به فى رُتبةِ المُلْك نادياً ... وقلّ له فوق السما كين أن يُعلى
نسيتُ به إيوانَ كسرى لأننى ... أراه له مَوْلى من الحسن لا مِثْلاً
ترى الشمس فيه لِيقَةً تستمدّها ... أكفٌّ أقامت من تصاويرها شكلا(١)
لها حركاتٌ أُودعت فى سُكونها ... فما تَبِعت من نقلهنّ يَدٌ رجْلا
ولما عَشِينا من توقّد نُورها ... تخِذْنا سناه فى نواظرنا كُحْلا

---

(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع فى الدواة .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب فى ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ هـ
(الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣) بمطابع دار الكتاب العربى بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى